بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومضات في فهم الآيات (٤)

من سورة الأنفال – إلى سورة يوسف

رقم الناشر الدولي: ٧-٦٠٥-٠-٨٥٩٩٩-٨٧٩

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: ٧٦٧/د.ع/٢٠٢١م

ملخص المقدمة

بني ومضات في فهم الآيات على ثمانية عشر من الأسس والمرتكزات المستمدة من القرآن العزيز وسُنّة الرسول ﷺ، لتكون أساسًا ومرتكزًا لفهم القرآن العزيز، والتمسك به، وإقامته في النفس، ودعوة النّاس له، تمهيدًا لإقامته في الأرض، ليفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للناس، ولمنع عقوباته تعالى عنهم، لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}﴿٩٦﴾ وبيّن الله تعالى أنّ كل إنسان مسؤولًا مسؤولية تامة عن كل ما يصيبه من شُؤم بسبب عمله في قوله تعالى في سورة:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا}﴿١٣﴾ وبيّن تعالى طريق السعادة في الدنيا والآخرة باتباع هديه وأنّ الشقاء فيهما بالإعراض عن دينه في قوله تعالى في سورة طه حيث قال:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾

وهذه الأسس والمرتكزات كما يلي: –

المرتكز الأوّل: الإيمان بالغيب

المرتكز الثاني: لله تعالى ملك السماوات والأرض وما فيهما.

المرتكز الثالث: الله الذي أعطى كل شيء خَلْقَه ثمّ هدى.

المرتكز الرابع: لله تعالى الخَلْق والأمر، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته.

المرتكز الخامس: اختيار الرسل ومنحهم المعجزات وتعليمهم

المرتكز السادس: الأديان.

المرتكز السابع: السنن والجزاءات والابتلاءات.

المرتكز الثامن: أمّة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس.

المرتكز التاسع: أخذ العهد على جميع المرسلين باتباع محمد ﷺ ونصرته.

المرتكز العاشر: شرائع الإسلام تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض.

المرتكز الحادي عشر: الدين الإسلامي لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة.

المرتكز الثاني عشر: التقوى والإحسان مفاتيح الخير كُله.

المرتكز الثالث عشر: الولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ والمؤمنين.

المرتكز الرابع عشر: النسب الإيماني هو نسب المؤمنين.

المرتكز الخامس عشر: تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ للقرون الثلاثة الأول من هذه الأمّة.

المرتكز السادس عشر: وجوب إقامة الدين في الأرض.

المرتكز السابع عشر: وجوب دعوة النّاس للدين.

المرتكز الثامن عشر: أنّ الله تعالى مظهر الإسلام على كلِّ دين.

فؤاد محمود آل محمود

المحتوى

العنوان الصفحة

ومضات في فهم الآيات (٤) ١

ملخص المقدمة ٢

سورة الأنفال ترتيبها (٨) آياتها (٧٥) ٩

(١-٨) بيان الحكم في الأنفال، وأمر المؤمنين بتقوى الله، وذكر بعض صفاتهم، وبيان الغاية من ملاقاة المشركين في غزوة بدر. ٩

(٩-١٩) بيان نِعَمَهُ تعالى على رسوله ﷺ والمؤمنين في غزوة بدر، والنهى عن الفرار من العدو، وتأكيد أنّ النصر من عنده تعالى. ١٤

(٢٠-٢٩) الأمر بطاعته تعالى ورسوله ﷺ، والتحذير من العصيان والافتتان بالأموال والأولاد، وبيان سننه تعالى للمتقين. ١٩

(٣٠-٤٠) التذكير بنعمه تعالى على رسوله ﷺ، والإشارة إلى استكبار الكافرين وبيان سننه فيهم، والأمر ببذل الجهد لإقامة دين الله تعالى في الأرض. ٢٣

(٤١-٤٨) بيان الحكم في غنيمة الحرب، والتدبير الإلهي لنصر المؤمنين في بدر، والأمر بالثبات والذكر وعدم التنازع، والنهي عن التأسي بالمشركين. ٢٨

(٤٩-٥٩) الإشارة إلى استهزاء المنافقين يوم بدر، وبيان حالهم عند الاحتضار، وضرب المثل بمن كفر قبلهم، والأمر بنبذ عهدهم إذا خيفت خيانتهم. ٣٣

(٦٠-٦٩) الأمر بإعداد ما يستطاع من قوة للعدو، والاعتماد على المؤمنين، وتحريضهم على القتال، وبيان الحكم في أسرى بدر، وإباحة الفدية منهم. ٣٧

(٧٠-٧٥) الأمر بدعوة الأسرى للإسلام، وتأكيد موالاة المهاجرين للأنصار، وولاء الكافرين لبعض، وأنّ المهاجرين والأنصار هم المؤمنون الحق. ٤٢

سورة التوبة مدنية ترتيبها (٩) آياتها (١٢٩) ٤٩

(١-٦) إعلان فسخ عهود المشركين بعد فتح مكة، والأمر بقتالهم في الحل والحرم بعد الأشهر الحُرم، وبيان جواز استجارة غير المحاربين منهم. ٤٩

(٧-١٦) بيان أسباب إعلان البراءة من عهود المشركين، وحقيقة ما في قلوبهم، وتأكيد سننه تعالى بتمحيص المؤمنين. ٥٣

(١٧-٢٤) بيان سبب آخر للبراءة من المشركين، ومقارنتهم بأهل طاعته، وبيان وجوب البراءة من الأقارب والأرحام إن استحبوا الكفر على الإيمان. ٥٧

(٢٥-٣٣) تأكيد أنّ النصر من عند الله تعالى، والأمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية لأهل الإسلام، وتكفُّله تعالى بنصر دينه على كل دين. ٦٢

(٣٤-٤٠) فَضح سلوك كثير من الأَحبار والرُهبان، وبيان جزاءهم، والتحذير من الظلم في الأشهر الحُرم، والحث على قتال المشركين والبذل في سبيله تعالى. ٦٧

(٤١-٥٢) الأمر بالنفور للدفاع عن دين الله، وفضح المنافقين المتقاعسين، والإشادة بصدق المؤمنين ورضاهم بقضاء الله وقدره. ٧٢

(٥٣-٦٣) بيان أسباب عدم قبول نفقات المنافقين وفضحهم، واستنكار أذاهم للرسول ﷺ، وبيان مستحقي الصدقات، وتَحذير المنافقين من عذاب الآخرة..... ٧٧

(٦٤-٧٢) فضح المنافقين، وتأكيد وَلائَهم لِبعض، وتحذيرهم من سننه تعالى، وتأكيد وَلاء المؤمنين لبعض، وبيان صفاتهم وجزائهم. ٨١

(٧٣-٨٠) الأمر بمجاهدة الكفار والمنافقين وبيان سلوكهم، وتأكيد عدم قبول توبتهم..... ٨٦

(٨١-٩٣) فضح المتخلفين عن غزوة تبوك، وتحريم خروجهم مع المؤمنين، والنهي عن الصلاة عليهم، والأشاد بالمؤمنين والمُعذِّرين، وذكر صفاتهم. ٩١

(٩٤-١٠٢) الأمر بعدم قبول أعذار متخلفي يهود، والإشادة بتميُّز السابقون بالإيمان، وبيان حقيقة فنافقي الأعراب والمدينة المنورة. .. ٩٦

(١٠٣-١١٢) الأمر بأخذ صدقات متخلفين عن تبوك، وترك الصلاة في مسجد ضِرار وهدمه، وتأكيد مشتراه تعالى لأنفس المؤمنين وأموالهم وبيان صفاتهم. ١٠٣

(١١٣-١٢١) النهي عن الاستغفار للمشركين، وبيان أهل توبته تعالى، والأمر بتقواه، والنهي عن التخلُّف عنه ﷺ، وبيان ثواب الملتزمين بأمره. ١٠٨

(١٢٢-١٢٩) بيان أهمية التفقه في الدين، والأمر بمجاهدة الكفّار وبيان بعض سلوكهم، وتأكيد حرص الرسول ﷺ على هداية العرب والنّاس..... ١١٣

سورة يونس ترتيبها (١٠) آياتها (١٠٩)..... ١١٨

(١-١١) القسم بأنّ القرآن هو الكتاب الحكيم، والتدليل على ربوبيته تعالى، والنار جزاء الكافرين، والجنان منزلًا للمتَّقين، وإمهال الظالمين ليزدادوا ضلالًا..... ١١٨

(١٢-٢١) ضرب المثل لأحوال الكافرين، ودحض حجهم ومزاعمهم، والتحذير من سننه تعالى وجزاءاته..... ١٢٣

(٢٢-٣٠) ضرب المثل لمراوغة الكافرين، والمثل للحياة الدنيا، وبيان سننه تعالى في المؤمنين والكافرين، وتأكيد تخاصم الشركاء يوم القيامة..... ١٢٧

(٣١-٤٤) إبطال حُجج الكفرين والمشركين، والجزم باستحالة افتراء القرآن، وتحديهم أن يأتوا بمثله، واستحالة هدايتهم..... ١٣٢

(٤٥-٥٨) بيان جزع الكافرين يوم القيامة، وتأكيد علم الساعة له وحده حيث لا ينفع إيمان ولا عِوض، وتبشير المؤمنين ليفرحوا بنزول القرآن..... ١٣٧

(٥٩-٧٠) الاستنكار على تشريعات الكافرين وتَوَعُّدِهم، وتأكيد مُطلق عِلمُه ومُلكُه تعالى، والبشارة لأوليائه، وخسران المفترين. ١٤١

(٧١-٨٣) ضرب المثل لسننه تعالى في قوم نوح (ع‌س) ومن كفر، وإبطال جدلهم ومكرهم، وضرب المثل بموسى (ع‌س) وعقوبة فرعون وهزيمتهم..... ١٤٥

(٨٤-٩٣) وعظ موسى (ع‌س) لقومه، وأمرهم اتخاذ بيوتهم قبلة، واستجابة دعوة موسى، وتمكين بني إسرائيل في الأرض، والتحذير من الاختلاف..... ١٥٠

(٩٤-١٠٠) تأكيد صدق ما أُوحي للرسول ﷺ وللمؤمنين، وأنّه لا أحد يؤمن إلا بإذنه تعالى، وأنّ سننه تعالى مضت في الأمم ألّا قوم يونس (ع‌س)..... ١٥٤

(١٠١-١٠٩) الأمر بالنظر في آيات الكون، والتحذير من سننه تعالى، والأمر بالإيمان، وتأكيد أنّ الخير والشر بيده تعالى، والأمر باتباع هديه. ١٥٩

سورة هود ترتيبها (١١) آياتها (١٢٣) ١٦٤

(١-١١) القسم بأن القرآن محكم، ودعوة الناس للإيمان تأكيد خلقه تعالى للسماوات والأرض وبيان جدل الكفار وتقلباتهم وثبات المؤمنين. ١٦٤

(١٢-٢٤) الأمر بالإعراض عن جدل الكفَّار، وتحديهم أن يأتوا بمثل القرآن، وتأكيد وحيه منه تعالى، والتحذير من الكذب على الله، وبيان جزاء المؤمنين. ١٦٨

(٢٥-٣٥) ضرب المثل لجدل وتكذيب قوم نوح، والتبرؤ من عبادة المشركين. ١٧٣

(٣٦-٤٩) أمر نوح (عس) بِصِنع السفينة وتوعد من كفر، ونجاة من آمن، وتأكيد أنّ القرابة بالدين لا بالنسب. ١٧٧

(٥٠-٦٠) ضرب المثل لتكذيب وجدل قوم هود (عس) ونجاة من آمن، وهلاك من كفر. ١٨٣

(٦١-٦٨) التذكير بتكذيب قوم صالح (عس) وتحذّيرهم مساس الناقة بسوء، فعقروها فأخذتهم الصيحة، ونجّا تعالى صالحًا (عس) ومن آمن من قومه. ١٨٦

(٦٩- ٨٣) تبشير إبراهيم (عس) بإسحاق ويعقوب، وإهلاك قوم لوط (عس). ١٩٠

(٨٤-٩٥) الإشارة إلى معصية قوم مدين، ونصح شعيب (عس) لهم، وبيان إعراضهم واستكبارهم والعقوبة التي نزلت بهم. ١٩٥

(٩٦-١١١) ضرب المثل لاستكبار فرعون، وتأكيد أنّ آلهة المشركين لن تغني عنهم من شيء، والتحذير من اليوم الآخر، والإشارة إلى جزاء الفريقان. ١٩٩

(١١٢-١٢٣) الأمر بالتمسك بشرائع الدين، وعدم الركون للكافرين أو الاستعانة بهم، والأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة والتوكل عليه لبلوغ الغايات. ٢٠٤

سورة يوسف (عس) ترتيبها (١٢) آياتها (١١١) ٢٠٩

مقدمة: التَّحَقُّق من قول كثير من المفسرين بنبوة أبناء يعقوب (عس). ٢٠٩

(١-١٤) القسم بأنّ القرآن هو الكتاب المبين، وتأويل رؤيا يوسف (عس) وتحذيره من غدر إخوته، وتَحايُلِهم للتخلص منه. ٢١٥

(١٥-٢٤) إجماع إخوة يوسف (عس) التخلص منه، وبيعه على عزيز مصر، ومراودة أمرأته ليوسف (عس) وإعراضه عنها. ٢٢٠

(٢٥-٣٥) إحجام يوسف (عس) عن امرأة العزيز، ومحاولتها الإمساك به، واتِّهامِه لدى زوجها، وبطلان دعوتِها، وايداعه السجن لتبرير ساحتها. ٢٢٤

(٣٦-٤٢) إيداع يوسف (عس) السجن، ودعوة السجينان للإيمان، وتأويل رُؤياهُما، وطلبه (عس) من النَّاجِي ذكره عند مَلِكَهُ، فأنساه الشيطان. ٢٢٨

(٤٣-٥٣) أمر الملك بتأويل رؤياه، وتفسِير يوسف (عس) لها، وطلبه النظر في أمر النسوة، واعتراف امرأة العزيز بذنبها، ورَجَت مغفرته. ٢٣١

(٥٤-٦٥) أمر الملك بإحضار يوسف (عس) وجعله أمينًا على خزائن الأرض، وَوُفُد إخوته طلبًا للميرة والزّاد، واشتراطه إحضار أخيهم لأبيهم لمصر. ٢٣٥

(٦٦-٧٦) أخذ يعقوب (عس) الميثاق على أبنائه برعاية بنيامين، ودخولهم على يوسف (عس) من أبواب متفرقة، وجعل صاع الملك في متاع بنيامين. ٢٣٨

(٧٧-٨٧) اتهام أخوة يوسف (عس) له بالسرقة، وأخذ بنيامين في عهد الملك، وتكذيب يعقوب (عس) لهم، وأمرهم بتفقد يوسف (عس) وأخيه. ٢٤٢

(٨٨-١٠١) تذكِر يوسف (عس) إخوته بكيدهم، وسؤالهم الاستغفار لهم، ودخولهم مع أبيهم يعقوب (عس) مصر، وسجودهم ليوسف (عس). ٢٤٧

(١٠٢-١١١) بيان أن القصص القرآني للهدى والعِبَر، والتحذير من سننه تعالى، والأمر بالصبر ودعوة النّاس للدين، وتأكيد نصره تعالى للمؤمنين. ٢٥١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأنفال ترتيبها (٨) آياتها (٧٥)

(١-٨) بيان الحكم في الأنفال، وأمر المؤمنين بتقوى الله، وذكر بعض صفاتهم، وبيان الغاية من ملاقاة المشركين في غزوة بدر.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

موضوع سورة الأنفال مُتعلِّق بأحداث غزوة بدر الكبرى، والتي كانت في العام الثاني من الهجرة، حين أذِن الله تعالى للمسلمين بقتال المشركين

في قوله تعالى في سورة الحج:{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ...}٤٠ وبيّن تعالى بعض صفاتهم في نفس السورة بقوله تعالى:{ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ}٤١ وذلك بعد أن آذى وقاتل مُشركي العرب كقريش وغيرهم الرسول ﷺ ومن آمن به لخمسة عشر (١٥) عامًا، منها ثلاثة عشر (١٣) سنةً في مكّة، وسنتان (٢) في المدينة المنورة، وقد أَرى تعالى رسوله ﷺ بأنّ إحدى الطائفتين تكون لهم، إما العير، وإما النصر والغنيمة، فأخبر الرسول ﷺ المسلمين، ولمّا عَلِم رسول الله ﷺ بقدوم قافلة قريش من الشام متجهة إلى مكة مرورًا ببدر خرج لها، وخرج معه ﷺ ثلاث مائة وثلاثة عشر (٣١٣) رجلا، وتَبعُد بدر قرابة مائة وخمسون (١٥٠) كيلومتر غرب المدينة المنورة، والطريق إليها جبلي وَعِر، وكان أبو سفيان يقود تلك القافلة، فلما عَلِم أبو سفيان بذلك سار بالقافلة نحو ساحل البحر الأحمر، واستطاع الوصول إلى مكّة سالمًا، فلمّا علمت قريش خرجت بجيش قوامه ألف مقاتل، والتقى الفريقان ببدر حيث دارت أوّل معركة بين المسلمين والمشركين.

فاستهلّ تعالى سورة الأنفال ببيان الحكم في قسمة الأنفال، فقال تعالى:{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ} حُكم{ الأَنفَالِ} وهي الغنائم التي يكسبها المسلمون دون قتال{ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ} يُقَسِّمها كما جاء في سورة الحشر لقوله تعالى:{ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ}﴿٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ فَاتَّقُواْ اللّه} في كلِّ ما أُمِرتم به ونُهيتم عنه{ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ} ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وشأنكم{ وَأَطِيعُواْ اللّه وَرَسُولَهُ} فيما أمرتم به ونهيتم عنه{ إِن كُنتُم} حقًا وصدقًا{ مُّؤْمِنِينَ}.

ثمّ بيّن تعالى بعض صفات المؤمنين فقال:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} الصادقون{ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّه وَجِلَتْ} وخافت ورَهَبت{ قُلُوبُهُمْ} أولًا، ثانيًا{ وَإِذَا تُلِيَتْ} وقُرأت{ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً} ويقينًا وثباتًا، ثالثًا{ وَعَلَى رَبِّهِمْ} دائمًا{ يَتَوَكَّلُونَ} ويعتمدون لتحقيق غاياتهم، رابعًا:{ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ} المكتوبة في أوقاتها ويتطوعون، خامسًا{ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} أي من أنفسهم وأموالهم{ يُنفِقُونَ} فمن أنفسهم يبذلون لتَعلُّم الدين وتَعلِيمِه في كلّ

فروعه وتخصصاته، وينفقون من أموالهم زكاةً وصدقةً وأضاحيَ وغيرها ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، تمهيدًا لإقامة المجتمع الأمثل والدين في الأرض، فـ{ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً} وصدقًا{ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ} رفيعةٌ{ عِندَ رَبِّهِمْ} في الآخرة{ وَمَغْفِرَةٌ} من ذنوب الدينا{ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} في الدنيا والآخرة.

ثمّ بدأ تعالى الحديث عن غزوة بدر فقال:{ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ} مع نفر من المسلمين{ مِن بَيْتِكَ} أي من المدينة المنورة{ بِالْحَقِّ} ولإحقاق الحق الموحى لرسوله ﷺ، فلمّا فلتت العير، قال الرسول ﷺ لمن معه أشيروا عليّ، فمنهم من كره القتال وقال: إنا لم نأخذ أُهبَة القتال، وإنما نفرنا إلى العير، فأعاد الرسول ﷺ وقال: أشيروا عليّ، فقال سعد بن عبادة الأنصاري (رع): يا رسول الله أنظر أمرك فامض له، فو الله لو سرت بنا إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، فسُرَّ رسول الله ﷺ كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} القتال{ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ} الذي أخرجك الله تعالى من أجله{ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ} لهم أنّ الخروج لملاقاة قريش، فأصبحوا و{ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ} ثمّ ذكّرهم تعالى فقال:{ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّه إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا

لَكُمْ} إمّا العير أو النصر والغنيمة{ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ} والقتال{ تَكُونُ لَكُمْ} غنيمةً{ وَيُرِيدُ اللَّه} من ملاقاة عَدُوّكم{ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} ووعده بالنصر والتمكين في الأرض، لقوله تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾ أولًا، ثانيًا{ وَيَقْطَعَ دَابِرَ} وأصل{ الْكَافِرِينَ} ببدر، ثالثًا و{ لِيُحِقَّ} تعالى دينه{ الْحَقَّ} المنزَّل على رسوله ﷺ، رابعًا{ وَيُبْطِلَ} شأن{ الْبَاطِلَ} والشرك والكفر والنفاق{ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} الفاسقون المعرضون المستكبرون.

الملخص: –

بيّن تعالى حُكم الأنفال، وأمر المؤمنين بالتقوى، وذَكَر بعض صفاتهم، وبيّن أنّ الغاية من ملاقاة جيش المشركين في بدر إحقاق الحقّ بنصر المؤمنين وإبطال الباطل بهزيمة الكافرين.

(٩-١٩) بيان نِعَمَهُ تعالى على رسوله ﷺ والمؤمنين في غزوة بدر، والنهى عن الفرار من العدو، وتأكيد أنّ النصر من عنده تعالى.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن

تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

يُذّكر تعالى المؤمنين بنعمه عليهم يوم بدر فيقول:{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ} وتطلبون الغوث والنصر من{ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ} متتابعين أولًا، ولما ورد في صحيح الإمام مسلم في سبب نزول الآية عن عمر بن الخطاب (رلع) قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثَمِائة وتِسعَةَ عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القِبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر (رلع) فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ} أي تلك المؤازرة والنصر{ إِلاَّ بُشْرَى} لكم{ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} بنصره تعالى إذا التزمتم بهديه لقوله تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾ ثمّ أكّد تعالى أنّ النَّصر من عنده فقال:{ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ} لا بعدد الملائكة ولا بِعُدَّتكم، فله تعالى جنود السماوات والأرض ينصر بما وكيف يشاء لقوله تعالى في سورة الفتح:{ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}﴿٧﴾ فـ{ إِنَّ اللَّه عَزِيزٌ} غالبٌ في كل اسم من أسمائه وصفة من صفاته{ حَكِيمٌ} في كل أمره، وفيما يَقضي ويُمضي.

ثمّ ذكّرهم بنعمة ثانية فقال:{ إِذْ يُغَشِّيكُمُ} ويلقي عليكم{ النُّعَاسَ} لتناموا وليكون{ أَمَنَةً} وأمانًا{ مِّنْهُ} تعالى، ثالثًا{ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء} طهورًا{ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ} بعد أن أَجْنَبَ بعضهم، رابعًا{ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ} وإثم ودنس{ الشَّيْطَانِ} حيث قال: يصلي ولا يغتسل، خامسًا{ وَلِيَرْبِطَ} وليثبت{ عَلَى قُلُوبِكُمْ} ملازمة قتال عدُوّكم{ وَيُثَبِّتَ بِهِ} أي بتلك النِّعم{ الأَقْدَامَ} فكان موقع المسلمين دهسًا لينًا فلبَّدَهُ وصَلَّبهُ، سادسًا{ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ} ومؤيدكم وناصركم{ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ} فكان المَلَك يقول للمؤمن: اثبت فإنهم ليسُوا بشيء، سابعًا{ سَأُلْقِي

فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ} والخوف والفزع والجزع{ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ} من الكفار{ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} من الأيدي والأرجل كما وردت المعاني في مغازي الواقدي، ثمّ قال تعالى:{ ذَلِكَ} أي وسبب هزيمة الكافرين{ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ} وخاصموا وعادوا{ اللَّه وَرَسُولَهُ} ثمّ حذّر تعالى من سننه فقال:{ وَمَن يُشَاقِقِ} ويعادي{ اللَّه وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ} في الدنيا والآخرة، ف{ ذَلِكُمْ} العقوبةُ{ فَذُوقُوهُ} أيها الكافرين في الدنيا{ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ} في الآخرة.

ثمّ نَبّهَ تعالى المؤمنين بما يجب عليهم عند ملاقاة العدو فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً} لمقاتلتكم{ فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ} ولكن اصمدوا لهم{ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ} منهزمًا، ثمّ استثنى تعالى فقال{ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً} أي مائلًا{ لِّقِتَالٍ} مرة أخرى{ أَوْ مُتَحَيِّزاً} لينضم{ إِلَى فِئَةٍ} مؤمنة ليعاود قتال الكفار{ فَقَدْ بَاء} أي الذين يُولون الأدبار للعدو والعزم على عدم معاودة قتالهم، فقد نالوا{ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ} في الدنيا{ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} في الآخرة.

ثمّ قال تعالى:{ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ} أنتم بسلاحكم وقوتكم{ وَلَـكِنَّ} الحقيقة أنّ{ اللَّه قَتَلَهُمْ} بما أمدَّكم به من أسباب، ثامنًا{ وَمَا رَمَيْتَ}

بقبضة التراب{ إِذْ رَمَيْتَ} العدو{ وَلَـكِنَّ اللَّه رَمَى} وأوصل التراب لأعينهم{ وَلِيُبْلِيَ} ويمنح{ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً} في الدنيا كما وعدهم{ إِنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ} بكل شيء فـ{ ذَلِكُمْ} النصر الحق، ثمّ بيّن تعالى سننه في الكافرين فقال:{ وَأَنَّ اللَّه مُوهِنُ} ومُضعِفُ{ كَيْدِ} ومكر{ الْكَافِرِينَ} في الدنيا.

ثمّ عنّف تعالى الكافرين فقال:{ إِن تَسْتَفْتِحُواْ} وتستبشروا بالنصر على المسلمين{ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ} والهزيمة والذل{ وَإِن تَنتَهُواْ} عن كفركم وشرككم{ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} في الدنيا والآخرة{ وَإِن تَعُودُواْ} لمقاتلة المسلمين{ نَعُدْ} مرّة أخرى لنصرهم{ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ} وجمعكم وكثرتكم{ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ} وعظمت، ثمّ جزم تعالى فقال:{ وَأَنَّ اللَّه} دائمًا وأبدًا{ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} الصادقين.

الملخص: -

بيّن تعالى نِعمه على رسوله ﷺ والمؤمنين في غزوة بدر، ونهى عن الفرار عن العدو، وأكَّد أنّ النصر وهزيمة الكفار من عنده تعالى.

(٢٠-٢٩) الأمر بطاعته تعالى ورسوله ﷺ، والتحذير من العصيان والافتتان بالأموال والأولاد، وبيان سننه تعالى للمتقين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّه وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّه فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللَّه وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّه عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللَّه يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

يأمر الله تعالى المؤمنين قائلًا:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} بالله تعالى وصدّقوا رسوله ﷺ{ أَطِيعُواْ اللَّه وَرَسُولَهُ} في كل ما أُمِرتم به ونُهِيتم عنه{

وَلاَ تَوَلَّوْا} وتُعرضوا وتدبروا{ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ} النداء كيوم أُحد عند الهزيمة، ثم حذّرهم الثانية فقال:{ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا} كالمنافقين{ وَهُمْ} حقيقةً{ لاَ يَسْمَعُونَ} لشدّة نفاقهم، فحجبهم تعالى عن السمع والفهم، كقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}۝٧ ومن سننه تعالى أن يقيض لهم شياطينَ قرناء لهم لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}۝٣٧ فمن المحال أن يهديهم تعالى لعظيم كفرهم ونفاقهم، فلهم اللعنة في الدنيا ولا يخفف عنهم العذاب في جهنم في الآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ}۝٨٨.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ} والخلقِ{ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ} الذين أصمهم تعالى عن فهم دينه وهديه{ الْبُكْمُ} الممتنعون عن الكلام جهلًا

أو تعمدًا كما جاءت المعاني في معجم مقاييس اللغة{ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} الدين ولا يفهمون{ وَلَوْ عَلِمَ اللُّه فِيهِمْ خَيْراً} لدينه{ لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} وهم مصرون على نفاقهم{ لَتَوَلَّواْ} عن هدي الله تعالى{ وَّهُم مُّعْرِضُونَ} مستكبرون جاحدون.

ثمّ حذّر تعالى المؤمنين أن يكونوا مثلهم فقال{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ} وأطيعوا{ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} ويُعِزُّكم وينصركم ويعلي شأنكم في الدنيا ويوم القيامة، ثمّ حذّرهم فقال:{ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} إن أعرضوا، لعلمه تعالى حقيقة ما في القلوب، ولا يظلم ربك أحدًا{ وَأَنَّهُ} أي واعلموا وتيقنوا أنّه{ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} فأعدوا من أنفسكم لذلك اليوم{ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً} وعذابًا في الدنيا قبل الآخرة{ لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً} بل تعم الجميع، فاتبعوا هدي ربكم ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وادعوا الناس لدين ربهم{ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ} في الدنيا والآخرة{ وَاذْكُرُواْ} نِعمِهُ عليكم{ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ} قبل الهجرة{ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ} أي في مكّة المكرمة{ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ} ويفتك ويبطش بكم{ النَّاسُ} ليستأصلوكم{ فَآوَاكُمْ} في الحبشة أولًا ثم في المدينة المنورة ثانيًا{ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ} في بدر{

وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} في المدينة المنورة{ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} وقال لعلَّكم تشكرون لتفاوت إيمان المؤمنين كما قال تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ}﴿٣٢﴾.

ثمّ قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللَّه} بعصيانه{ وَالرَّسُولَ} بإفشاء سرِّه{ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ} وعهودكم{ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} وتُدرِكون، ونزلت الآية كما ورد مختصرًا في كتاب من البداية والنهاية لابن كثير في أبي لبابة بن عبد المنذر حين حاصر الرسول ﷺ بني قريظة بعد أن تأمروا مع الأحزاب لاستئصال المؤمنين من المدينة المنورة، وحَكم فيهم سعد بن معاذ بأن يقتل مقاتليهم وتقسم أموالهم وتسبى نسائهم وأولادهم، فطلب بني قريظة أبا لبابة ليستشيروه، وسألوه عن مصيرهم، فأشار إلى حَلقِه، يعني الذبح، ففطن لخطئِه وندم، وامتنع عن الأكل والشرب حتى تاب الله عليه، ثمّ قال تعالى:{ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ} وابتلاء واختبار، فلا تفتنكم وتصرفكم عن أماناتكم وواجبات دينكم{ وَأَنَّ اللَّه عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ

﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾﴿٦٤﴾ ثمّ بشَّرهم تعالى فقال:{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّه} في كل ما أمرتم به ونهيتم عنه{ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} وفهمًا وإدراكًا واستيعابًا، ونورًا تميّزون به بين الحقّ والباطل جزاء تقواكم، كقوله تعالى في سورة هود:{... وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ...}﴿٣﴾ { وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} في الدنيا{ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ما سلف منكم{ وَاللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} في الدّارَين.

الملخص: –

أمر تعالى المؤمنين بطاعته ورسوله ﷺ، وحذَّر من العصيان، والافتتان بالأموال والأولاد، وبيَّن تعالى سننه للمتقين.

(٣٠-٤٠) التذكير بنعمه تعالى على رسوله ﷺ، والإشارة إلى استكبار الكافرين وبيان سننه فيهم، والأمر ببذل الجهد لإقامة دين الله تعالى في الأرض.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّه وَاللّه خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ

هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّه لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّه وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا
كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا
كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ
فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّه الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ
فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ
إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ ﴿٣٨﴾
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللَّه بِمَا
يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

يُذَّكِر تعالى المؤمنين بتأييده لرسوله ﷺ عند هجرته من مكّة المكرَّمة إلى المدينة المنورة برفقة أبي بكر الصديق (رلع) فقال:{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ} ويحتال ويتآمر عليك{ الَّذِينَ كَفَرُواْ} والذين اجمعوا على قتله ﷺ، وانتدبوا

مائة رجل من قبائل العرب يترصدون خروجه ﷺ ليتفرق دمه في القبائل كما ورد في السيرة الحلبية، وكان من مقترحاتهم{ لِيُثْبِتُوكَ} أي يُقَيِّدوك{ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} من مكّة المكرمّة{ وَيَمْكُرُونَ} بك{ وَيَمْكُرُ اللَّه} تعالى لك{ وَاللَّه خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} فألقى تعالى النوم على المائة رجل، وخرج رسول الله ﷺ من بينهم، وأيّده تعالى بجنود لم يروها عند غار ثور فلم يره المشركون، ومنع تعالى سراقة بن مالك من الوصول إليهما، وبَشَّره ﷺ بسواري كسرى، إلى أن وصل إلى المدينة المنورة.

ثم أشار تعالى استصغار المشركين لشأن لقرآن فقال:{ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا} هذا القرآن و{ لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا} الموحى إليك{ إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ} وقصص وخرافات{ الأَوَّلِينَ} الغابرين{ وَإِذْ قَالُواْ} استكبارًا وعنادًا واستهزاءً{ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ} أي كما أُمطر أصحاب الفيل{ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} لنُصدقك.

ثمّ بيّن تعالى سننه في إهلاك الأمم فقال:{ وَمَا كَانَ اللَّه} أي وليس من سننه تعالى{ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ} ماكثًا{ فِيهِمْ} بين أظهرهم، فنجاة المؤمنين حقًا على الله تعالى لقوله في سورة يونس:{ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴿١٠٣﴾ ثمّ بيّن تعالى سنَّة أخرى فقال:{ وَمَا كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهُمْ} أي معذِّب أهل القرى المعرضة{ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} ثمّ أكّد تعالى أنّ قريشًا استحقت العذاب فقال:{ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّه وَهُمْ يَصُدُّونَ} النّاس والمؤمنين{ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} كيوم الحديبية لمّا أراد ﷺ أن يعتمر مع أصحابه سنة سِتًا من الهجرة، ثمّ أكّد تعالى وقال عنهم:{ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ} أي وما كان المشركون بأولياء الله تعالى، ولا أولياء البيت الحرام{ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ} الحقّ{ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ} كرسول الله ﷺ وأصحابه{ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} عن الله تعالى من شيء.

ثمّ ذكر تعالى ذنبًا ثالثًا مستحقًا للعذاب فقال:{ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ} ودعائهم{ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً} أي أصواتًا{ وَتَصْدِيَةً} وتصفيقًا وتصفير{ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ} الذي نَزل بكم يوم بدر{ بِمَا} وبسبب ما{ كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} بالله تعالى وتمكرون.

ثم بيّن تعالى ثلاثًا من سننه في نفقة الكفّار فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ} لقتالكم و{ لِيَصُدُّواْ} الناس{ عَن سَبِيلِ اللّهِ} ودينه وهديه{ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} لا تلبي مكرهم ومقاصدهم{ ثُمَّ يُغْلَبُونَ} ويُهزمون في الدنيا{ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} في

الآخرة، ثمّ أشار تعالى من الغاية من جعل الناس فريقان مؤمن وكافر فقال:{ لِيَمِيزَ اللَّه} ويَتميَّز{ الْخَبِيثَ} من الكفر والنفاق والشرك{ مِنَ الطَّيِّبِ} المؤمن، والغاية الأخرى{ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ} والكُفر على مر التاريخ{ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ} ويَحطِمَه{ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ} ف{ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} الخالدون فيها.

ثمّ أكّد تعالى سعة رحمته للكافرين فقال:{ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ} عن كفرهم ونفاقهم وشركهم واستهزائهم{ يُغَفَرْ لَهُم} جميع{ مَّا قَدْ سَلَفَ} من ذنوبهم{ وَإِنْ يَعُودُواْ} لكفرهم ونفاقهم وشركهم واستهزائهم{ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ} بهلاكهم كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}۝١٤.

ثمّ أمر تعالى المؤمنين بإقامة الدين في الأرض لتحتكم البشرية إليه فقال:{ وَقَاتِلُوهُمْ} بكل الوسائل من قوّة وعلم وإعلام وغير ذلك{ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ} ونقضُ وصدٌّ عن دين الله تعالى{ وَيَكُونَ الدِّينُ} والحُكم

والتشريع في الأرض{ كُلُّهُ لِلّه} وحده لقوله تعالى في سورة النساء:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}﴿٦٥﴾ { فَإِنِ انتَهَوْاْ} عن كفرهم واعراضهم واستكبارهم{ فَإِنَّ اللَّه بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لا تخفى عليه خافية{ وَإِن تَوَلَّوْاْ} وأعرضوا واستكبروا{ فَاعْلَمُواْ} معشر المؤمنين{ أَنَّ اللَّه مَوْلاَكُمْ} وناصركم ومؤيدكم فـ{ نِعْمَ الْمَوْلَى} مولاكم{ وَنِعْمَ النَّصِيرُ} ناصركم.

الملخص: -

ذكَّر تعالى بنعمه على رسوله ﷺ عند هجرته، وأشار إلى استكبار الكافرين وبيّن سننه فيهم، وأمر ببذل الجهد ليكون الحُكم في الأرض لدين الله.

(٤١-٤٨) بيان الحكم في غنيمة الحرب، والتدبير الإلهي لنصر المؤمنين في بدر، والأمر بالثبات والذكر وعدم التنازع، والنهي عن التأسي بالمشركين.

وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا

وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

بيَّن تعالى الحكم في توزيع غنيمة الحرب فقال:{ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ} في غزوة دار فيها قتال{ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} يشتركون فيه، وللمجاهدين أربعة

أخماس{ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ} حقًا{ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} من ملائكة{ يَوْمَ الْفُرْقَانِ} أي يوم بدر{ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} المؤمن والمشرك{ وَاللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} لا يعجزه شيئًا في الأرض ولا في السماء{ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} الأقرب إلى المدينة المنورة{ وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} الأبعد منها{ وَالرَّكْبُ} قافِلَةً{ أَسْفَلَ مِنكُمْ} قرب ساحل البحر الأحمر{ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ} مع المشركين لقتالهم في ذلك المكان والزمان{ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن} جعله تعالى وهيئه ليكون كذلك{ لِّيَقْضِيَ} ويُنجز{ اللّه أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً} في أم الكتاب أوّلًا، و{ لِّيَهْلِكَ} وليَبيد{ مَنْ هَلَكَ} وقُتل من المشركين{ عَن بَيِّنَةٍ} وإصرار على الشرك ثانيًا{ وَيَحْيَ} وينصر ويعزَّ{ مَنْ حَيَّ} وآمن{ عَن بَيِّنَةٍ} ويقين ثالثًا، ثمّ أكّد تعالى وقال:{ وَإِنَّ اللّه لَسَمِيعٌ} لدعاء الرسول{ عَلِيمٌ} بما يكون في السماوات والأرض ومستحقي النصر.

ثمّ ذكر تعالى تدابيره لتلك الغزوة فقال:{ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّه} أي المشركين{ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً} لتهزموهم أوّلًا{ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ} وخِفتم{ وَلَتَنَازَعْتُمْ} واختلفتم وترددتم{ فِي الأَمْرِ} أي في قتال المشركين{ وَلَـكِنَّ اللّه سَلَّمَ} بتدبيره{ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وما تتحدث به

الأنفس، ثانيًا{ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ} أي المشركين{ إِذِ الْتَقَيْتُمْ} قبل بدأ المعركة{ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً} لتُقبِلوا على قتالهم{ وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} لِيُقبلوا على قتالكم و{ لِيَقْضِيَ} وليُمضي{ اللَّه أَمْراً} في اللوح المحفوظ{ كَانَ} واقعًا{ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ} تدابير وتصريف{ الأُمُورُ} فله تعالى الخلق والأمر في كل شيء.

ثمّ حضَّ تعالى المؤمنين فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً} تقاتلكم{ فَاثْبُتُواْ} ولا تنكصوا وتنهزموا{ وَاذْكُرُواْ اللَّه كَثِيراً} في السلم والحرب{ لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} وقال تعالى لعلكم تفلحون لتفاوت درجات إيمان المؤمنين لقوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ}﴿٣٢﴾ ثمّ أمر تعالى المؤمنين فقال:{ وَأَطِيعُواْ اللَّه وَرَسُولَهُ} في كل ما أُمرتم به ونهيتم عنه{ وَلاَ تَنَازَعُواْ} وتتقاتلوا{ فَتَفْشَلُواْ} وتضعفوا{ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} وقوتكم ودولتكم شأنكم{ وَاصْبِرُواْ} على ما أمركم الله تعالى به وعند اللقاء{ إِنَّ اللَّه مَعَ} ومؤيد وناصر{ الصَّابِرِينَ}.

ثم نهاهم تعالى فقال:{ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم} كالمشركين{ بَطَراً} واستعلاءً وفخرًا{ وَرِئَاء النَّاس} سمعةً{ وَ} هم{ يَصُدُّونَ} الناس{ عَن سَبِيلِ اللّهِ} ودينه وهديه{ وَاللُّه بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} عارفٌ مطلعٌ قادرٌ مقتدر، علاوةً على ذلك{ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ} وغرّ{ أَعْمَالَهُمْ} ورياءهم وبطرهم{ وَقَالَ} حاضًا على قتالكم أن{ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ} أبدًا{ وَإِنِّي جَارٌ} ومُعينٌا{ لَّكُمْ} وناصركم{ فَلَمَّا تَرَاءتِ} وتلاقت{ الْفِئَتَانِ} ودارت المعركة{ نَكَصَ} وذلَّ ورجع{ عَلَى عَقِبَيْهِ} مرعوبًا جزعًا{ وَقَالَ إِنِّي بَرِىءٌ مِّنكُمْ} ومن شرككم فـ{ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ} من الملائكة نازلة بسيوفها{ إِنِّيَ أَخَافُ} بطش وتنكيل{ اللَّه} إن أَعنتُكم{ وَاللُّه} حقًا وصدقًا{ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

الملخص: -

بيَّن تعالى الحكم في تقسيم غنيمة الحرب، وتدبيره تعالى لنصر المؤمنين يوم غزوة بدر، والأمر بالثبات وكثرة الذكر وعدم التنازع، والنهي عن التأسي بالمشركين.

(٤٩-٥٩) الإشارة إلى استهزاء المنافقين يوم بدر، وبيان حالهم عند الاحتضار، وضرب المثل بمن كفر قبلهم، والأمر بنبذ عهدهم إذا خيفت خيانتهم.

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّه لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّه قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّه لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّه لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾

أشار تعالى إلى سخرية المنافقين من المؤمنين لمّا توجهوا إلى بدر لإدراك قافلة المشركين فقال:{ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ} من يهود المدينة المنورة{ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} وشك في الله تعالى وسننه ووعوده{ غَرَّ} وزيّن وأهلك{ هَـؤُلاء دِينُهُمْ} وأغراهم فاغتروا، ثمّ جزم تعالى مؤكّدًا وقال:{ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ} حقّ التوكل{ فَإِنَّ اللَّه عَزِيزٌ} ليس كمثله شيء، غالبٌ في كل اسم من أسمائه وصفة من صفاته{ حَكِيمٌ} فيما يقضي ويمضي من أمور وسنن.

ثمّ بيّن تعالى حالهم عند الاحتضار وبلوغ الروح الحلقوم فقال:{ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلائِكَةُ} يقبضون أرواحهم ف{ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} لتُزهِق أنفسهم{ وَذُوقُواْ} النكال و{ عَذَابَ الْحَرِيقِ} في الآخرة، ويقال لهم{ ذَلِكَ} الضرب عند نزع الأرواح ونكال الآخرة الذي تجدونه{ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} من نفاق وتكذيب واستهزاء، ثمّ جزم تعالى بقوله:{ وَأَنَّ اللَّه لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ} بما يجدون من عقوبة في الدنيا والآخرة.

ثمّ ضرب تعالى المثل لعقوبة من كان قبلهم فقال:{ كَدَأْبِ} أي فأصابهم ما أصاب{ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ} كفروا وأعرضوا واستكبروا{ مِن

قَبْلِهِمْ} بأنهم{ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ اللّهِ} ورسله ومعجزاته وبراهينه{ فَأَخَذَهُمُ} وأهلكهم وأخزاهم{ اللَّه بِذُنُوبِهِمْ} أي بسبب كفرهم ونقضهم مواثيقهم، ثمّ جزم وأكد تعالى فقال:{ إِنَّ اللَّه قَوِىٌّ} غالبٌ في كل شأنه{ شَدِيدُ الْعِقَابِ} في الدنيا والآخرة، ثمّ بيّن تعالى سننه فقال:{ ذَلِكَ} أي وسبب عذابهم{ بِأَنَّ اللَّه لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ} من إيمان إلى كفر{ وَأَنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ} بكل ما يكون في السماوات والأرض، وهو تعالى علّام الغيوب ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

ثمّ أكّد تعالى عقوبتهم فقال:{ كَدَأْبِ} ومثلِ{ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم{ كَذَّبُواْ بـَٔايَاتِ رَبِّهِمْ} ورُسله ومعجزاته{ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ} وكفرهم وإعراضهم واستكبارهم{ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ} منهم{ كَانُواْ ظَالِمِينَ} لأنفسهم بكفرهم، ولهم العذاب المهين في الآخرة.

ثم أكد تعالى فقال:{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ} من الخلق، من الإنس والجن{ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ} بالله تعالى ورُسله{ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} مهما كانت المعجزات والبراهين، لطبع الكفر على قلوبهم لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ}﴿١٠١﴾ فلا يخرج منها كفر ولا يدخلها إيمان لإصرارهم على الكفر حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ثمّ عرّفهم تعالى فقال:{ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ} أي يهود المدينة المنورة كيهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة{ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ} أي نقضوا صحيفة المدينة المنورة للموادعة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ لمّا نزلها، فتجدهم يوالون المشركين{ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ} الله تعالى وعقوبته في الدنيا والآخرة، فكانت عقوبتهم أن أجلوا من مدينة رسول الله ﷺ، ثمّ بيّن تعالى الحكم فيهم فقال:{ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ} في قتال{ فِي الْحَرْبِ} فنكل بهم ولا تبقي لهم بنانًا{ فَشَرِّدْ بِهِم} بما يصيبهم من عقوبة{ مَّنْ خَلْفَهُمْ} ويؤيدهم ويواليهم{ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} ما نزل من الحق، ولا يعودا لنفاقهم وغدرهم.

ثمّ بيّن تعالى الحكم العام فيمن خِيف غدره وخيانته فقال:{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء} وأعلمهم بانتها العهد الذي معهم، ثمّ حذّر تعالى من الغدر فقال:{ إِنَّ اللَّه لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ} وحذّر

تعالى الكافرين فقال:{ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ} وفازوا وأمنوا بعهدهم فـ{ إِنَّهُمْ} أبدًا{ لاَ يُعْجِزُونَ} البتة.

الملخص: -

أشار تعالى إلى استهزاء المنافقين يوم غزوة بدر، وبيّن حالهم عند الاحتضار، وضرب المثل لما حلّ بمن قبلهم، وأمر بنبذ عهودهم إذا خِيف خيانتهم.

(٦٠-٦٩) الأمر بإعداد ما يستطاع من قوة للعدو، والاعتماد على المؤمنين، وتحريضهم على القتال، وبيان الحكم في أسرى بدر، وإباحة الفدية منهم.

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِىَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا

أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الأخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

يأمر الله تعالى الأمَّة المسلمة بإعداد القوّة لأعدائها فيقول:{ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن} كل{ قُوَّةٍ} من سلاح وعتاد وعلم وأنفس وأموال{ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ} لما لها من شأن عند الله{ تُرْهِبُونَ} وتخيفون{ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} ممن كفر أو نافق أو أشرك{ وَآخَرِينَ} غيرهم{ مِن دُونِهِمْ} كفارس والروم كما ورد في تفسير القرطبي{ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} ثمّ حفَّزهم تعالى على الإنفاق فقال:{ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ} كالمال والأنفس لتقوية الأمّة{ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}﴿٢٧٢﴾ ولقوله

تعالى في سورة المزمل:{... وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ...}﴿٢٠﴾ { وَأَنتُمْ} أبدًا{ لاَ تُظْلَمُونَ} ولا تبخسون شيئًا.

ثمّ قال تعالى:{ وَإِن جَنَحُواْ} أي أعدائكم{ لِلسَّلْمِ} والسلام{ فَاجْنَحْ لَهَا} والتزموا بها{ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ} وما أوحي إليكم في كل شؤونكم{ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ} لما في السماوات والأرض{ الْعَلِيمُ} بكل شيء، ماضيه وحاضره ومستقبله، ثمّ قال تعالى:{ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ} بإعلان السلام للكيد والمكر{ فَإِنَّ حَسْبَكَ} وكافيك{ اللّه} فـ{ هُوَ} تعالى{ الَّذِىَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ} في بدر أولًا{ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} ثانيًا{ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} وجمع كلمتهم على الحق ثالثًا، فـ{ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً} من مال وخيرات{ مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّه أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} بهذا الدين العظيم من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات وشرائع{ إِنَّهُ عَزِيزٌ} ليس كمثله شيء، غالبٌ في كل أسمائه وصفاته{ حَكِيمٌ} في كل ما يقضي في خلقه وما يمضي فيهم من سنن.

ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ فقال:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ} التوكل على{ اللّه وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ولا تعد عيناك عنهم، ثمّ أمر تعالى نبيّه ﷺ

فقال:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ} وحُضَّ وحَفِّز{ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} في سبيل إقامة الدين في الأرض{ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ} إن صبروا{ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ} أي بسبب أنهم{ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} عن الله تعالى، ولا سننه، ولا ما أوحي إليك، ثمّ قال:{ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ} عند ملاقاة عدوكم{ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً} في اليقين والصبر{ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} يؤيدهم ويواليهم وينصرهم.

ثمّ بيّن تعالى الحكم في أسرى بدر فقال:{ مَا كَانَ} ولا يجوز{ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى} وسبب ذلك ما أذاقوا المؤمنين من أذى في مكّة المكرمة، واضطروهم للهجرة، واستولوا على أموالهم ومساكنهم، وطاردوهم إلى الحبشة، وقتّلوا منهم، وتعاونوا مع المنافقين لاستئصالهم{ حَتَّى يُثْخِنَ} ويبالغ في النيل من عدوه{ فِي الأَرْضِ} ثمّ استنكر تعالى أخذ الفدية منهم فقال:{ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} من الفداء{ وَاللَّهُ يُرِيدُ الأخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ} لا يقبل إلّا الحقَّ والعدل، ولا يرضى النيل من دينه ولا من المؤمنين{ حَكِيمٌ} فيما يشرع، ثمّ عذرهم تعالى فقال:{ لَّوْلاَ كِتَابٌ} ووعد{ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ

لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} أي لولا أنه سبق مني ألّا أعذب إلا بعد نهي، ولم أكن نهيتكم، لعذبتكم فيما صنعتم كما ورد في تفسير الطبري، ثمّ أحلَّ تعالى لهم ما أخذوا من فداء فقال:{ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ} من عدوّكم{ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللَّه} في كل ما أمرتم به ونهيتم عنه، ثمّ أكد مغفرته فقال:{ إِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ونزلت هذه الآيات كما ورد في صحيح الإمام مسلم عن ابن عبّاس قال: فلما أَسروا الأَسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأَسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفَّار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمكنّا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان(نسيبا لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبُكائِكما، فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عَرَضَ عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض عليّ

عذابهم أدنى من هذه الشجرة(شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) وأنزل الله عز وجل:" ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض".

الملخص: -

أمر تعالى بإعداد كل ما يستطاع من قوة للعدو، وبالاعتماد على المؤمنين وتحريضهم على القتال، وبيّن الحكم في أسرى بدر، وأحلّ لهم ما غنموا من فداء المشركين.

(٧٠-٧٥) الأمر بدعوة الأسرى للإسلام، وتأكيد موالاة المهاجرين للأنصار، وولاء الكافرين لبعض، وأنّ المهاجرين والأنصار هم المؤمنون الحق.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿٧٢﴾ وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

أمر تعالى بدعوة أسرى بدر للإسلام، كون القرآن أنزل لجميع الناس لقوله تعالى في سورة النحل:{ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ...}﴿٥٢﴾ ولقوله تعالى في سورة الجاثية:{ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}﴿٢٠﴾ فقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} ﷺ{ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى} المشركين{ إِن يَعْلَمِ اللُّه فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً} يهديكم للتصديق والإيمان فتؤمنوا{ يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ} من فداء في غزوة بدر{ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ما سلف من ذنوبكم، ويؤيد ذلك ما ورد في مسند الإمام أحمد مختصرًا عن العباس بن عبدالمطلب والذي كان من أسرى بدر، لمّا أمره رسول الله ﷺ أن يفدي نفسه وابني أخويه نوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب، وحليفه عتبة بن عمرو" قال بعد إسلامه: فأعطاني(أي الله تعالى) مكان العشرين الأوقية في الإسلام(أي الفداء) عشرين عبدًا، كلهم

في يده مال يُضرب به(أي في تجارة)، مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل، ثمّ أكد تعالى مغفرته فقال:{ وَاللَّه غَفُورٌ} لكل الذنوب قبل الإسلام{ رَّحِيمٌ} لا يعاجل المذنبين بالعقوبة{ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ} بإعلانهم الإيمان{ فَقَدْ خَانُواْ اللَّه مِن قَبْلُ} وقاتلوا مع المشركين، فأمضى تعالى سننه فيهم{ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} فقُتِلوا وأُسِروا{ وَاللَّه عَلِيمٌ} بكل شيء ماضيه وحاضره ومستقبله{ حَكِيمٌ} في كل أمره، وما يشرع للناس، وما يُمضي من سنن.

ثمّ بارك تعالى موالاة المهاجرين والأنصار، وبدأ بذكر المهاجرين فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ} أوّلًا{ وَهَاجَرُواْ} من مكّة المكرمة وغيرها ثانيًا{ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ} أي فخرجوا مجاهدين للغزو مع رسول الله ﷺ ثالثًا، محتسبين ذلك{ فِي سَبِيلِ} إقامة دين{ اللّهِ} تعالى في الأرض، ثمّ ذكر تعالى الأنصار فقال:{ وَالَّذِينَ آوَواْ} المهاجرين في دورهم أولًا{ وَّنَصَرُواْ} دين الله تعالى ورسوله ﷺ في بدر ثانيًا{ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء} ومناصرين ويرثون من{ بَعْضٍ} بعد أن أخا رسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد هجرته إلى المدينة المنورة.

ومن الملاحظ أنّ ذكر المهاجرين يسبق ذكر الأنصار في القرآن لفضلهم في السبق للإسلام، وما تحملوه من أذى المشركين في مكّة المكرمة لثلاثة عشر (١٣) عامًا، وتركهم أوطانهم وممتلكاتهم في سبيل الله تعالى.

ولتقوية شوكة المسلمين قبل فتح مكَّة المكرمة، بيّن تعالى أنّ الهجرة كانت فرضًا على من آمن فقال:{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ} إلى المدينة المنورة{ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ} إلّا أنه{ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ} ضد عدوٍ لهم{ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} والتأييد، ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ} سلام، فلا تنصروهم حتى يهاجروا{ وَاللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لا تخفى عليه خافية{ وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} فعليكم معشر المسلمين موالاة بعض، لقوله تعالى في سورة الحجرات:{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...}﴿١٠﴾ ثمّ حذّر تعالى فقال:{ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ} وتلتزموا بما شرع تعالى لكم{ تَكُن فِتْنَةٌ} وقتل وتشريد{ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}.

ثمّ أكّد تعالى صدقٌ إيمان المهاجرين والأنصار فقال:{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقّاً} وبشّرهم فقال{ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ} مما سلف من ذنوبهم في الدنيا{ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} في الدنيا والآخرة، ثمّ أقرّ تعالى إيمان من هاجر وجاهد من بعدهم فقال:{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ} وأوليائكم.

فمن قال أنّ المهاجرين والأنصار قد ارتدُّوا عن الإسلام فقد آذى الله تعالى ورسوله ﷺ وحلت عليه لعنه الله تعالى لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}﴿٥٨﴾ وحلّت عليه لعنة الله لافترائه الكذب على الله لقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ}﴿١٩﴾ وهم لا يفلحون في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾} وهم المجرمون لقوله تعالى في سورة يونس:{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

ٱلۡمُجۡرِمُونَ}﴿١٧﴾ وقد حذَّرهم تعالى من الاستئصال في الدنيا لقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ}﴿٦١﴾ ومثواهم جهنّم لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ}﴿٦٨﴾.

ومن أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغضهم فهو منافق يبغضه الله تعالى لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن البراء بن عازب (رلع) قال سمعت النبيّ ﷺ، أو قال: قال النبيّ ﷺ:" الأنصار، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله"، فمن انتقص من أحدهم شيئا أو طعن فيهم فهو منافق ومُكذِّب لله تعالى ورسول الله ﷺ.

ثمّ أنهى تعالى توارث المهاجرين والأنصار بالأخوة التي سنَّها رسول الله ﷺ عند هجرته إلى المدينة المنورة، وكان ذلك بعد أن خصّ الله تعالى للمهاجرين في العام الثالث من الهجرة غنيمة بني النضير بعد نقضهم صحيفة الموادعة للمدينة المنورة، كما قال تعالى في سورة الحشر:{ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ

وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ}﴿٨﴾ وأقرّ تعالى الإرث للأرحام فقال:{ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ} تعالى وشرعه{ إِنَّ اللَّه بِكُلِّ شَيْءٍ} في السماوات والأرض{ عَلِيمٌ} بماضيه وحاضره ومستقبله.

الملخص: -

أمر تعالى بدعوة الأسرى للإسلام، وأكد موالاة المهاجرين والأنصار، وأنّ الكافرين أولياء بعض، وجزم بأنّ المهاجرين والأنصار هم المؤمنون الحق.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التوبة مدنية ترتيبها (٩) آياتها (١٢٩)

(١-٦) إعلان فسخ عهود المشركين بعد فتح مكة، والأمر بقتالهم في الحل والحرم بعد الأشهر الحُرم، وبيان جواز استجارة غير المحاربين منهم.

بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

وهي من السبع الطوال حيث يزيد طول آياتها عن جزء واحد، ونزلت بعد فتح مكّة المكرمة. وفُتحت مكّة المكرمة في رمضان من العام الثامن من الهجرة، ولم يُمنع المشركين من البيت الحرام، ونزلت سورة براءة في رمضان من العام التاسع بإعلان البراءة منهم فقال تعالى:{ بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ} تعالى{ وَرَسُولِهِ} ﷺ{ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} المحاربين{ فَسِيحُواْ} وسيروا{ فِي الأَرْضِ} آمنين مطمئنين{ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} لا يعتدى عليهم كبيان أوّل، ثمّ حذّرهم فقال:{ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللّهِ} أينما كنتم كبيان ثاني، فسننه تعالى ماضية فيمن أعرض في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ أكّد تعالى أنّه يخزي الكافرين فقال:{ وَأَنَّ اللَّه مُخْزِى الْكَافِرِينَ} في الدنيا والآخرة كما أخزاهم يوم بدر وغيرها كبيان ثالث، والبيان الرابع{ وَأَذَانٌ} أي وإعلانٌ{ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ} وهو يوم النحر، والحج الأصغر هي العمرة كما ورد في مسند الإمام أحمد، واعلموا{ أَنَّ اللَّه} تعالى{ بَرِىءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} ﷺ.

فأرسل الرسول ﷺ عليًا (رلع) في العام التاسع الذي أمَّر فيه أبي بكر الصديق (رلع) على الحج ليعلن تلك البراءة كما ورد في مسند

الإمام أحمد عن أبي هريرة (رلع) قال: كنت مع علي بن أبي طالب (رلع) حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة، فقال: ما كنتم تنادون؟ قال: كنا ننادي: أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن(أوّلا)، (ثانيًا) ولا يطوف بالبيت عريان،(ثالثًا) ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فإن أجله إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله، (رابعًا) ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك.

ثمّ وجّه تعالى خطابه للمشركين فقال:{ فَإِن تُبْتُمْ} عن شرككم وما شرَّعتُمُوه لأنفسكم{ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَایَ فَلَا یَضِلُّ وَلَا یَشۡقَىٰ}﴿١٢٣﴾ { وَإِن تَوَلَّيْتُمْ} وأعرضتم{ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللّهِ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِی فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} في الآخرة بعد أن أخزاهم تعالى في غزوة بدر وفتح مكّة وغيرها.

ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً} ولم ينقضوا لكم عهدًا{ وَلَمْ يُظَاهِرُواْ} ولم يعينوا{ عَلَيْكُمْ

أَحَداً} من عَدُوّكم{ فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} المتفق عليها، ثمّ أكّد تعالى حبّه للمتقين فقال:{ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}.

ثمّ قال تعالى:{ فَإِذَا انسَلَخَ} وانقضت{ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ} وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم{ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ} أي الذين يقاتلونكم{ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ} وأينما أدركتموهم في الحِلِّ أو الحرم{ وَخُذُوهُمْ} وأسروهم{ وَاحْصُرُوهُمْ} والتمسوهم في كل مكان كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَاقْعُدُواْ} وترصَّدوا{ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} لقتالهم{ فَإِن تَابُواْ} عن قتالكم وآمنوا{ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ} آمنين{ إِنَّ اللَّه غَفُورٌ} لما سلف منهم{ رَّحِيمٌ} لا يعاجل بالعقوبة.

ثمّ بين تعالى حُكمًا في المشركين غير المقاتلين فقال:{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ} وطلب الأمان في بلاد الإسلام{ فَأَجِرْهُ} وأمنه{ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ} حين يُتلى وفي الصلوات، ويتعلم دين وأخلاق المسلمين{ ثُمَّ أَبْلِغْهُ} حتى يصل{ مَأْمَنَهُ} فـ{ ذَلِكَ} أي وسبب استثنائهم{ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} دين الله تعالى وشرائعه.

الملخص: -

أعلن تعالى فسخ عهود المشركين بعد فتح مكة، وأمر بقتالهم في الحل والحرم بعد الأشهر الحُرم، وجوَّز استجارة غير المحاربين منهم ليسمعوا كلام الله.

(٧-١٦) بيان أسباب إعلان البراءة من عهود المشركين، وحقيقة ما في قلوبهم، وتأكيد سننه تعالى بتمحيص المؤمنين.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ

قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

بيّن تعالى الواعز من إعلان البراءة من عهود المشركين فقال:{ كَيْفَ} يمكن أن{ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ} ماضٍ دون أجل وفسخ{ عِندَ اللّهِ} تعالى{ وَعِندَ رَسُولِهِ} ﷺ ثمّ استثنى المعاهدين منهم عند المسجد الحرام في صلح الحديبية فقال:{ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} فلهم العهد ما استقاموا لكم بالوفاء إلى مدتهم، ثمّ اشترط تعالى معاملتهم بالمثل فقال:{ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ} ولم ينقضوا عهدهم{ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} الملتزمين بعهودهم.

ثمّ ذكر تعالى عدة أسباب للبراءة من المشركين فقال:{ كَيْفَ} لا تكون براءة من عهود المشركين{ وَإِن يَظْهَرُوا} وينتصروا{ عَلَيْكُمْ} يُقَتِّلونكم و{ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ} ولا يحفظوا لكم{ إِلاًّ} ولا قرابةً{ وَلاَ ذِمَّةً} ولا عهد أولًا، ثمّ فضح تعالى حقيقة ما في قلوبهم فقال: إنما{ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ} وألسنتهم{ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ} الصلح معكم{ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}

كارهون مُبغِضون، ولكنهم{ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ} وعهودهم معكم{ ثَمَناً قَلِيلاً} ليأمنوا جانبكم، وانتهزوا السِّلم معكم{ فَصَدُّواْ} الناس{ عَن سَبِيلِهِ} ودينه تعالى ثانياً، وقد بيّن تعالى جزاءاته النازلة بأمثالهم في قوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ}﴿٢٢﴾ ثمّ قال تعالى:{ إِنَّهُمْ سَاء} وخبث{ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} ثالثًا، ثمّ فضحهم تعالى وقال:{ لاَ يَرْقُبُونَ} ولا يَحفَظُون{ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ} ولا قرابة{ وَلاَ ذِمَّةً} ولا عهدًا{ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ} حقًا عليكم وعلى دين الله تعالى ورسوله ﷺ{ فَإِن تَابُواْ} عن غدرهم وصدِّهم الناس عن دينكم{ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ} لمستحقيها كما في قوله تعالى في سورة التوبة:{ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ

ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةَ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿٦٠﴾ فإن فعلوا ذلك{ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ} ونبيّن{ الآيَاتِ} والأحكام{ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} سننه تعالى وجزاءاته في الكاذبين، ثمّ توعدهم تعالى فقال:{ وَإِن نَّكَثُواْ} وغدروا ونقضوا{ أَيْمَانَهُم} ومواثيقهم{ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ} وذموا وجرّحوا{ فِي دِينِكُمْ} وما يوحى لرسولكم ﷺ{ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ} وقادة{ الْكُفْرِ} فـ{ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ} ولا عهود ولا مواثيق{ لَهُمْ} والغاية من ذلك{ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ} عن غدرهم وتجريح دينكم.

ثمّ ذَكَّر تعالى بماضي أفعالهم فقال:{ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ} ونقضوا{ أَيْمَانَهُمْ} وعهودهم معكم من قبل{ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ} ﷺ والغدر به{ وَهُم بَدَؤُوكُمْ} وبادروكم{ أَوَّلَ مَرَّةٍ} بالتعذيب والتهجير لإكراهكم على الكفر، ثمّ استنكر تعالى فقال:{ أَتَخْشَوْنَهُمْ} وتهابونهم{ فَاللَّه أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} حقًا فله تعالى جنود السماوات والأرض، وهو وليُّكم ومؤيدكم، ثمّ حرَّضهم تعالى فقال:{ قَاتِلُوهُمْ} أينما وجدتموهم في الحل أو الحرم{ يُعَذِّبْهُمُ اللَّه بِأَيْدِيكُمْ} ليُفرحكم{ وَيُخْزِهِمْ} بهزيمتهم{ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ} ويُفرح{ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} لما أذاقوهم من قبل سوء العذاب{ وَيُذْهِبْ غَيْظَ} وحَنَق{ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّه عَلَى مَن يَشَاءُ}

منهم بعدله وعلمه حقيقة ما في قلوبهم ولا يظلم ربك أحدًا{ وَاللَّه عَلِيمٌ} بكل شيء ماضيه وحاضره ومستقبله{ حَكِيمٌ} فيما يقضي ويمضي من سنن، ثمّ أكّد تعالى مُضِي سننه في تمحيص المؤمنين فقال:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ} بإعلانكم الإيمان{ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّه} ويميّز{ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ} في سبيله بقتال المشركين أولًا{ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} أو مدخلًا لمودتهم{ وَاللَّه خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} لا تخفى عليه خافية.

الملخص: -

بيّن تعالى أسباب إعلان البراءة من عهود المشركين، وبيّن حقيقة ما في قلوبهم، وأشار تعالى إلى ضرورة تمحيص المؤمنين.

(١٧-٢٤) بيان سبب آخر للبراءة من المشركين، ومقارنتهم بأهل طاعته، وبيان وجوب البراءة من الأقارب والأرحام إن استحبوا الكفر على الإيمان.

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّه فَعَسَى

أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّه عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

بيّن تعالى سبب آخر للبراءة من المشركين فقال:{ مَا كَانَ} ولن يكون{ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ} ويرفعوا شأن{ مَسَاجِدَ الله} بالصلاة وتَعلِيم الدين من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات وشرائع، وهم{ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} بالله تعالى وبرسوله ﷺ، فـ{ أُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ} وخابت وخسِرت{ أَعْمَالُهُمْ} في الدنيا{ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} في الآخرة.

ثمّ بيّن تعالى صفات عمّار مساجده فقال:{ إِنَّمَا يَعْمُرُ} ويشيد ويرفع شأن{ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ} وحده لا شريك له أوّلًا{ وَالْيَوْمِ الأخِرِ} من بعث وحشر وجزاء وجنّة ونّار ثانيًا{ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ} المفروضة في أوقاتها ثالثًا، رابعًا{ وَآتَى الزَّكَاةَ} لمستحقيها، ليأمن المحتاجين على حياتهم، والأغنياء على ثرواتهم، وليعمَّ المجتمع الأمن والسلام، خامسًا{ وَلَمْ يَخْشَ} ولم يخاف{ إِلاَّ اللَّه} في السِّرِ والعلن{ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ} وقال تعالى فعسى لاختلاف درجات إيمان المؤمنين لقوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ}﴿٣٢﴾.

ثمّ استنكر تعالى تعظيم أفعال المشركين فقال{ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ} التي كانوا يفعلونها{ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} بالأوثان التي شيدوها ظلمًا وعدوانًا وبهتانًا على الله تعالى ورسوله ﷺ{ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ} صدقًا وحقًا{ وَالْيَوْمِ الاٰخِرِ} للجزاء والحساب{ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ} إقامة دين{ اللّهِ} تعالى في الأرض{ لاَ يَسْتَوُونَ} أبدًا{ عِندَ اللّهِ} ثمّ أكّد تعالى سننه فقال:{ وَاللُّه لاَ يَهْدِى} لدينه وفضله{ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} لشركهم واستكبارهم، ثمّ زكّا تعالى

أوليائه فقال: فـ{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ} لإقامة دينه تعالى في الأرض{ أَعْظَمُ} وأعلى وأرفع وأجل{ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} في الدنيا والآخرة فـ{ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم} في الدنيا{ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ}{ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} في الآخرة، ولهم البشرى في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ وهم{ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} مطهرون من كل نقيصة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أوّل زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكب دُرِّي في السماء إضاءةً، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة(أي طيب العود) وأزواجهم الحور العين، على خَلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعا في السماء".

ثمّ أكد تعالى فقال:{ إِنَّ اللَّه عِندَهُ} للمؤمنين{ أَجْرٌ عَظِيمٌ} كقوله تعالى في سورة السجدة:{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً

بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿١٧﴾ وقد بيّنت السنّة أنّ ما تمّ بيانه من نعيم الآخرة في القرآن العزيز ليس إلّا كقليل البلل من الماء، لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رلع): أن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل:" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرًا، بَلُّه ما أطلعكم الله عليه"، أي في القرآن.

ثم بيّن تعالى أنّ البراءة عامّة من كل من أشرك ولو كان ذا قربى فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء} وأهل محبتكم ومودتكم{ إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم} ويودُّهم{ مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} العاصون، ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ تحذِير المؤمنين عواقب ذلك فقال:{ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} واكتسبتموها{ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} وخسارتها{ وَمَسَاكِنُ} فارهة{ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ} تعالى{ وَرَسُولِهِ} ﷺ{ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} لإقامة دينه في الأرض{ فَتَرَبَّصُواْ} سننه وعقوبته و{ حَتَّى يَأْتِيَ اللُّه بِأَمْرِهِ} وجزاءاته{ وَاللُّه} من سننه{ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} المعرضين عن دينه.

الملخص: –

بيّن تعالى سببًا آخر للبراءة من المشركين، وسفّه أفعالهم مقارنة بأهل طاعته، وأوجب البراءة من الأقارب والأرحام إذا استحبوا الكفر على الإيمان.

(٢٥-٣٣) تأكيد أنّ النصر من عند الله تعالى، والأمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية لأهل الإسلام، وتكفُّله تعالى بنصر دينه على كل دين.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الأخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ

يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

أعلن تعالى البراءة من المشركين، وأمر بقتالهم في الحل والحرم، وجوَّز استجارة غير المحاربين ليسمعوا كلام الله، وأوجب البراءة من الأقارب والأرحام إن استحبوا الكفر على الإيمان، وأكّد أنّ النصر بيده تعالى فقال:{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} وأنتم قليل، كيوم بدر وقينقاع والنضير وقريظة والحديبية وخيبر وفتح مكّة المكرمة، ثمّ ذكّرهم تعالى بهزيمتهم أوَّل الأمر لمّا أعجبتهم كثرتهم فقال:{ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} في السنّة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكّة لمّا اجتمعت قبائل هوازن وثقيف ونَصر وجُشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال لقتالهم كما ورد في كتاب سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد{ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} وكانوا يومئذ اثني عشر ألفا وقالوا: لن نغلب اليوم من قلة، والقبائل أربعة

آلاف كما ورد في صحيح الإمام البخاري في تفسير الآية{ فَلَمْ تُغْنِ} ولم تدفع كثرتكم{ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} من شدَّة الخوف رغم سِعتها{ ثُمَّ وَلَّيْتُم} عن رسول الله ﷺ{ مُّدْبِرِينَ} فارّين منهزمين{ ثُمَّ أَنزلَ اللَّه سَكِينَتَهُ} وطمأنينته{ عَلَى رَسُولِهِ} ﷺ{ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً} من الملائكة{ لَّمْ تَرَوْهَا} لنصركم{ وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} بهزيمتهم وأسرهم والغنيمة منهم{ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ} في الدنيا، تأكيدًا لقوله تعالى في سورة آل عمران:{... وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ}﴿١٢٦﴾ { ثُمَّ يَتُوبُ اللَّه مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ} من المؤمنين الفارين، ومن الكافرين بعدله وعلمه مستقبل الغيب، وما في قلوبهم{ وَاللَّه غَفُورٌ} لمن استغفر وتاب وأناب{ رَّحِيمٌ} بعباده لا يعاجلهم بالعقوبة.

ثمّ أمر تعالى المؤمنين فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} وخبث في العقيدة والعبادة{ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ} والحَرَم{ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا} ثمّ طمئنهم فقال:{ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} وفقرًا بسبب منعهم{ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّه مِن فَضْلِهِ إِن شَاء} ومتى شاء، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه وأمره{ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ} بكل شيء ماضيه وحاضره ومستقبله، وبما يُصلح شؤونكم{ حَكِيمٌ} فيما يقضي ويمضي من سنن.

ثمّ أمر تعالى المؤمنين فقال:{ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} أوّلًا{ وَلاَ بِالْيَوْمِ الأخِرِ} ثانيًا{ وَلاَ يُحَرّمُونَ مَا حَرَّمَ اللُّه وَرَسُولُهُ} ﷺ ثالثًا{ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقّ} الذي أنزل على رسوله ﷺ رابعًا{ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ} أي اليهود والنصارى{ حَتَّى يُعْطُواْ} ويدفعوا{ الْجِزْيَةَ} للمسلمين{ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} ذليلون داخرون خانعون، وفي هذه الآيات دلالة واضحة على نسخ التوراة والإنجيل بالقرآن.

ثمّ استنكر تعالى على أهل الكتاب فقال:{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ} فكذّبهم تعالى فقال:{ ذَلِكَ قَوْلُهُم} وكذبهم وافترائهم{ بِأَفْوَاهِهِمْ} وألسنتهم{ يُضَاهِؤُونَ} ويشابهون{ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ} بأن آلهتهم تقربهم إلى الله{ قَاتَلَهُمُ} وحاربهم ولعنهم{ اللُّه أَنَّى} وكيف{ يُؤْفَكُونَ} ويُكذّبون الحق الذي أنزله على رسوله ﷺ.

ثمّ بيّن تعالى سبب دعواهم وانحرافهم عن الدين الحق فقال:{ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً} يُحِلُّون ويحرمون لهم{ مّن دُونِ} أمر وتشريع{ اللّهِ} تعالى{ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} أي واتخذوا عيسى ابن مريم إلهً وربًا من دون الله{ وَمَا أُمِرُواْ} في التوراة والإنجيل{ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ} تَنَزَّه وتعالى وتقدس{ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

ثمّ بيّن تعالى غايتهم من نسبة رُسُلهم لله فقال:{ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ} ودينه المنزل على رسوله ﷺ{ بِأَفْوَاهِهِمْ} وافتراءاتهم{ وَيَأْبَى اللّهُ} ولا يرضى{ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ} المنزل على رسوله ﷺ حتى يدخل كل بيت، لما ورد في سنن الإمام أحمد عن تميم الداري (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يُعز الله به الإسلام، وذلًا يذل الله به الكفر"{ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} قاطبةً فـ{ هُوَ} تعالى{ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ} ﷺ{ بِالْهُدَى} للناس{ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ} وينصره ويعليه{ عَلَى الدِّينِ} المُنَزَّل{ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.

الملخص: –

أكّد تعالى أنّ النصر من عنده وحده، وأمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية لأهل الإسلام، وتكفَّل تعالى بنصر دينه على كل دين.

(٣٤-٤٠) فَضح سلوك كثير من الأَحبار والرُهبان، وبيان جزاءهم، والتحذير من الظلم في الأشهر الحُرم، والحث على قتال المشركين والبذل في سبيله تعالى.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللُّه فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللُّه زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللُّه لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الأخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

بعد أن أمر تعالى قتال أهل الكتاب في سورة التوبة بقوله تعالى:{ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} فضح تعالى سلوك كثير من الأحبار والرهبان، وحذّر المؤمنين منهم فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ} وهم علماء بني إسرائيل والربانيون{ وَالرُّهْبَانِ} وهم المجتهدون من النصارى، ثمّ أكّد تعالى فعلهم قائلًا:{ لَيَأْكُلُونَ} ويأخذون ويستولون على{ أَمْوَالَ النَّاسِ} من مِلَّتِهم{ بِالْبَاطِلِ} ومن غير وجه حق كصفة أولى، والصفة الثانية{ وَيَصُدُّونَ} النّاس عمومًا وأتباعهم{ عَن سَبِيلِ} وهدي{ اللّهِ} المنزل على رسوله ﷺ، ثمّ حذّر تعالى من كنز الأموال دون إخراج زكاتها فقال{ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ} على المحتاجين كالفقراء والمساكين{ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} في الدنيا، لقوله

تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وفي الآخرة{ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} ويقال لهم:{ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ} للآخرة{ فَذُوقُواْ} جزاء{ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ} في الدنيا.

ثمّ أكّد تعالى حرمة الأشهر الحُرم على جميع الأمم فقال:{ إِنَّ عِدَّةَ} وعدد{ الشُّهُورِ} في السنة{ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً} قمريًا{ فِي كِتَابِ اللّهِ} أي اللوح المحفوظ منذ{ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} ليأمن فيها الناس من القتال، وهي المحرم ورجب وذُو القِعدة وذو الحِجة، ف{ ذَلِكَ الدِّينُ} والشرع والتشريع{ الْقَيِّمُ} الرفيع، ثمّ حذّر فقال:{ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ} بفعل المحرمات والمعاصي كتوجيه أوّل{ وَقَاتِلُواْ} وجاهدوا{ الْمُشْرِكِينَ} جميعهم{ كَآفَّةً} وأينما كانوا بالأموال والأنفس{ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ} ويحاربون دينكم{ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّه} تعالى{ مَعَ} ومؤيد وناصر{ الْمُتَّقِينَ}.

ثمّ ذمّ تعالى أفعال الجاهلية فقال:{ إِنَّمَا النَّسِىءُ} أي تأخير أو تقديم الشهر المحرم للقتال فيه{ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} أي في الشرك الذي كانوا عليه، بتأجيل حرمته إلى صفر{ يُضَلُّ بِهِ} وبالتلاعب في أجله{ الَّذِينَ

كَفَرُواْ} فـ{ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ} ويقعوا في حرمته الأشهر الحُرُم، وفي{ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّه} عليهم{ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّه} ثمّ قال تعالى:{ زُيِّنَ لَهُمْ} أي الشيطان{ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ}﴿٣٦﴾ عقوبةً لهم بسبب التأخير أو التقديم في الأشهر الحُرم{ وَاللَّه} من سننه تعالى وجزاءاته أن{ لاَ يَهْدِى} لدينه ورحمته{ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} المعرضين.

ثمّ عتب تعالى على المؤمنين فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ} وجاهدوا{ فِى سَبِيلِ اللّهِ} وإقامة دينه تعالى في الأرض{ اثَّاقَلْتُمْ} وتخاذلتم وتقاعستم{ إِلَى الأَرْضِ} وزينتها كقوله تعالى في سورة الحديد:{ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ...}﴿٢٠﴾ ثمّ استنكر تعالى فعلهم فقال:{ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وزينتها{ مِنَ} وعن زينة{ الأخِرَةِ} ونعيمها، ثمّ أكّد تعالى قائلا:{ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وزينتها{ فِى الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} ثمّ حذّر تعالى المؤمنين من ترك الجهاد في سبيله فقال:{ إِلاَّ تَنفِرُواْ} في سبيله تعالى لإقامة دينه في الأرض وبدعوة النّاس للدين{ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} في الدنيا{ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ} يجاهدون في سبيله{ وَلاَ تَضُرُّوهُ} أي ولا يناله

تعالى من ضُر إن عذّبكم أو استبدلكم، ولا{ شَيْئاً} قليلًا{ وَاللَّه عَلَى} فِعل{ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} لا يعجزه شيئًا في الأرض ولا في السماوات.

ثمّ جزم تعالى أنّه لا حاجة له لأحد فقال:{ إِلاَّ تَنصُرُوهُ} ورسوله ﷺ ودينه{ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّه} وحده{ إِذْ} ويوم{ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ} من داره وأحب بلدٍ له، وهو{ ثَانِيَ اثْنَيْنِ} مع أبي بكر الصديق (رلع){ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} والمشركون حوله عازمين على قتله{ إِذْ يَقُولُ} مطمئنًا{ لِصَاحِبِهِ} بثقةٍ من ربه{ لاَ تَحْزَنْ} ولا تقلق فـ{ إِنَّ اللَّه مَعَنَا} مؤيدنا وناصرنا{ فَأَنزَلَ اللَّه سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} ﷺ{ وَأَيَّدَهُ} ونصره{ بِجُنُودٍ} أنتم{ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ} وكيد{ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى} المخذولة{ وَكَلِمَةُ اللّهِ} ووعده لرسوله ﷺ{ هِيَ الْعُلْيَا} الغالبة المنتصرة{ وَاللَّه عَزِيزٌ} عظيم في كل شأنه، غالبٌ في كل اسمٍ من أسمائه وصفةٍ من صفاته{ حَكِيمٌ} في قضائه وقَدرِه وفي كل شأنه.

الملخص: -

فَضح تعالى سلوك كثير من الأَحبار والرُهبان، وبيّن جزاءهم، وحذّر من الظلم في الأشهر الحُرم، وحث المؤمنين على قتال المشركين والبذل في سبيله.

(٤١-٥٢) الأمر بالنفور للدفاع عن دين الله، وفضح المنافقين المتقاعسين، والإشادة بصدق المؤمنين ورضاهم بقضاء الله وقدره.

انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَّتَّبَعُوكَ وَلَـكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾

قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

كان الروم وفارس يتابعان خبر رسول الله ﷺ، فلمّا علمت الروم بفتح مكّة المكرمة في العام الثامن من الهجرة، قرروا في العام التاسع إنهاء القوة الإسلامية والتي بدأت تهدد كيانهم، فاستنفر الرسول ﷺ المؤمنين ليسير إلى تبوك لملاقاتهم، وتبعد تبوك قرابة ستمائة وتسعون (٦٩٠) كيلومتر شمال المدينة المنورة، وانتهت المعركة بلا قتال وأخلى الرومان مواقعهم للدولة الإسلامية، فأمر تعالى المؤمنين بالنفور فقال:{ انْفِرُواْ} وابذلوا جهدكم في سبيل الدفاع عن الدين ولإقامته في الأرض{ خِفَافاً} أي شبابًا ورجالًا{ وَثِقَالاً} أي وشيبًا{ وَجَاهِدُواْ} أي وابذلوا جهدكم{ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ} دين{ اللّهِ} ف{ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ} في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ { إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} سَنَنَه في خلقه، فاستأذن المنافقون بعدم الخروج، فذَمَّ تعالى فعلهم وفضحهم فقال:{ لَوْ كَانَ} الأمر{ عَرَضاً قَرِيباً} وغنيمةً سهلةً{ وَسَفَراً قَاصِداً} لمنافع دنيا{ لاَّتَّبَعُوكَ} دون تردد{ وَلَـكِن

بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} من سفر بعيد، وحرّ الصيف، وطيب ثمر المدينة المنورة، وقوّة الروم، ففضح تعالى نيّاتهم وقال:{ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ} كذبًا بعد رجوعكم{ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ} للجهاد، فجزم تعالى وقال:{ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ} بكذبهم في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى في سورة البقرة:{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ}﴿١٠﴾ ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَاللُّه يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} في عذرهم واستئذانهم.

ثمّ عاتب تعالى رسوله ﷺ وقال:{ عَفَا اللُّه عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ} بالتخلف والخروج، ولو تريثت{ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ} ويتميّزَ ويَظهَر جليًا{ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} ثمّ بيّن تعالى صفات الصادقين فقال:{ لاَ يَسْتَأْذِنُكَ} بالتخلف عن الغزو{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} حقًا{ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ} يطلبون الشهادة في سبيل الله{ وَاللُّه عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم.

ثمّ فضح تعالى حقيقة المنافقين فقال:{ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} كصفة أولى{ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} ثانيًا{ وَارْتَابَتْ} وشكّت{ قُلُوبُهُمْ} بصدق رسالتك ثالثًا{ فَهُمْ} أصبحوا{ فِي رَيْبِهِمْ} وشكّهم{ يَتَرَدَّدُونَ} في الخروج معكم، ثمّ أكّد تعالى ذلك فقال:{ وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ} حقًا لقتال الروم{

لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً} وعتادًا وسلاحًا{ وَلَـكِن كَرِهَ اللُّه انبِعَاثَهُمْ} وخروجهم معكم{ فَثَبَّطَهُمْ} وقاعسهم وكسَّلَهم{ وَقِيلَ} أي ورُخِّص لهم بالقول:{ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} ثمّ بيّن تعالى أسباب تثبيطهم فقال:{ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم} ومعكم للقتال{ مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً} وحِيرةً، وفسادًا في الرأي أوّلًا{ ولأَوْضَعُواْ} الفتن والخلاف{ خِلاَلَكُمْ} ثانيًا، فهم{ يَبْغُونَكُمُ} شتات الأمر و{ الْفِتْنَةَ} والهزيمة ثالثًا{ وَفِيكُمْ} ومن بينكم{ سَمَّاعُونَ} مُصدقون{ لَهُمْ} رابعًا، فخذّلهم تعالى عنكم{ وَاللُّه عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، ثمّ قال:{ لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ} والهزيمة لكم فاعتذروا، وحرصوا على ردّكم للكفر{ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ} وجادلوك في قتال الروم{ حَتَّى جَاء الْحَقُّ} بالتأييد والنصر{ وَظَهَرَ} وعلا{ أَمْرُ اللّهِ} ودينه{ وَهُمْ كَارِهُونَ} عزَّكم وارتفاع شأنكم.

ثم فضح تعالى طائفة أخرى منهم فقال:{ وَمِنْهُم} قيل الجِد بن قيس كما ورد في التفاسير{ مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي} بعدم الخروج معكم لتبوك{ وَلاَ تَفْتِنِّي} في نساء الروم فلا صبر لي على بني الأصفر{ أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ} والنفاق والتحايل والخروج{ سَقَطُواْ} فحبطت وبطلت أعمالهم في الدنيا{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} في الآخرة، ثمّ فضحهم تعالى جميعًا فقال:{ إِن

تُصِبْكَ حَسَنَةٌ} وغلبة ونصر{ تَسُؤْهُمْ} وتُحزنهم{ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ} وهزيمة وانكسار يفرحوا و{ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا} بعدم الخروج{ مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ} وينصرفوا عنك{ وَّهُمْ فَرِحُونَ} بهزيمتكم، فـ{ قُل} لهم{ لَّن يُصِيبَنَا} من مكروه{ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّه لَنَا} فـ{ هُوَ مَوْلاَنَا} ومؤيدنا وناصرنا وكافينا، ثمّ أرشد تعالى المؤمنين فقال:{ وَعَلَى اللّهِ} وتدبيره وحكمته{ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} و{ قُلْ} لهم{ هَلْ تَرَبَّصُونَ} وتترقبون حلول المكروه{ بِنَا} فهو ليس إلّا{ إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} إمّا الفتح والغنيمة، أو الشهادة والجنّة{ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّه بِعَذَابٍ} ينزِلُ{ مِّنْ عِندِهِ} عليكم{ أَوْ بِأَيْدِينَا} وتسليطنا وتمكيننا منكم{ فَتَرَبَّصُواْ} وارتقبوا الشر من الله، فـ{ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} ما يصيبكم، ونصره تعالى عليكم.

الخلاصة: –

أمر تعالى بالنفور لملاقات الروم، والدفاع عن الدين، وفضح سلوك المنافقين وتقاعُسهم، وأشاد بصدق المؤمنين ورضاهم بقضائه تعالى وقدره.

(٥٣-٦٣) بيان أسباب عدم قبول نفقات المنافقين وفضحهم، واستنكار أذاهم للرسول ﷺ، وبيان مستحقي الصدقات، وتَحذير المنافقين من عذاب الآخرة.

قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴿٦٣﴾

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يبيّن للمنافقين عدم قبول نفقاتهم فقال:{ قُلْ أَنفِقُواْ} من أموالكم{ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ} خارجين معرضين عن هدي الله تعالى، ثمّ بيّن تعالى أسباب عدم قبولها فقال:{ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ} تعالى أوّلًا{ وَبِرَسُولِهِ} ﷺ وما يوحى إليه ثانيًا{ وَلاَ يَأْتُونَ} ولا يحضرون{ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى} متثاقلين ثالثًا{ وَلاَ يُنفِقُونَ} من أموالهم{ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ} رابعًا، ثمّ بيّن تعالى الغاية من إغنائهم فقال:{ فَلاَ تُعْجِبْكَ} كثرة{ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ} من تنميتها لهم{ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أولًا{ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} ثانيًا، ثمّ فضح تعالى ما في قلوبهم فقال:{ وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ} وعلى ملّتكم ودينكم{ وَمَا هُم} حقيقةً{ مِّنكُمْ وَلَـكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} أي يكذبون في حلفهم لئلا تقاتلوهم، و{ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً} عند لقاء العدو{ أَوْ مَغَارَاتٍ}

يتحصنون بها{ أَوْ مُدَّخَلاً} أي سربًا أو نفقًا{ لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ} مسرعين بقوّةٍ وعزيمة لا يَتَرَيَّثون.

ثمّ قال تعالى:{ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ} ويُعيبك{ فِي} قسمة{ الصَّدَقَاتِ} لأهل الحاجة{ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ} وفرحوا{ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} استياءً وتذمرًا{ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ} بـ{ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ} تعالى{ وَرَسُولُهُ} ﷺ{ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ} يرزقنا و{ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} ﷺ{ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ} مُعظمون، ونزلت هذه الآية كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد (رلع) قال: بينا النبي ﷺ يُقَّسِم(أي الزكاة) جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال:" ويحك، ومن يعدل إذا لم أعدل"؟ قال عمر بن الخطاب (رلع): ائذن لي فأضرب عنقه، قال:" دعه، فإن له أصحابًا، يَحقر أحدُكُم صلاتَه مع صلاتِه، وصيامَه مع صيامِه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يَنظر في قذذه(أي في ريش مؤخرة السهم) فلا يوجد فيه شيء(من أثر الرمية) ثم ينظر إلى نصله(أي رأس السهم) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصافه(أي بين الريش ورأس السهم) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله(أي ما فوق المقبض) فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم(أي لم يتأثر السهم بشيء من فرث ولا دم) آيتهم رجل إحدى

يديه، أو قال: ثدييه، مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر(أي هُبرة، ليس فيها عضل ولا عظم)، يخرجون(أي يعظم شأنهم) على حين فرقة من الناس". والعبرة أنّ من الحديث أن الإسلام لا يغير في المنافقين من شيء في عقيدتهم ولا عباداتهم ولا أخلاقهم ولا معاملاتهم.

ثمّ استنكر تعالى عليهم طلب الصدقات فقال:{ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ} أي الزكاة{ لِلْفُقَرَاء} المحتاجين{ وَالْمَسَاكِينِ} الذين لا يَسَعهم رزقهم{ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} أي على جمع الزكاة{ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} ليُسلِمُوا{ وَفِي} تحرير{ الرِّقَابِ} من الرق والعبودية{ وَالْغَارِمِينَ} الخاسرين تجارتهم أو صنعتهم{ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ} جهادًا ودعوة النّاس للإسلام{ وَابْنِ السَّبِيلِ} المسافر المُعسر المنقطع عن أهله، فتلك{ فَرِيضَةً} مُلزمة{ مِّنَ} شرع{ اللّهِ وَاللّه عَلِيمٌ} بكل شيء وما يشرّع{ حَكِيمٌ} في تشريعه وفي كل أمره.

ثمّ قال تعالى:{ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ} ينتقصون قدره{ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ} أي يُصدِّق كل ما يقال له، فردّ الله تعالى عليهم فقال:{ قُلْ} لهم{ أُذُنُ خَيْرٍ} يأتي به{ لَّكُمْ} من الله أوّلًا، ثانيًا{ يُؤْمِنُ} ويصدق{ بِاللّهِ} العلي العظيم وما يُوحِي إليه، ثالثًا{ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} يصدقهم ويسمع منهم، رابعًا{ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ} في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة

النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ ثمّ أنذر المنافقين فقال:{ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ} همزًا ولمزًا وتجريحًا{ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ فضحهم تعالى فقال:{ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ} ليس إلّا{ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ} بكفِّ أذاهم عنه ﷺ{ إِن كَانُواْ} حقًا{ مُؤْمِنِينَ} ثمّ حذّرهم تعالى فقال:{ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ} ويحارب ويعادي{ اللّه} تعالى{ وَرَسُولَهُ} ﷺ{ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا} و{ ذَلِكَ الْخِزْىُ الْعَظِيمُ} في الآخرة.

الملخص: -

بيَّن تعالى أسباب عدم قبول نفقات المنافقين وفضحهم، واستنكر أذاهم للرسول ﷺ، وبيّن مستحقي الصدقات، وحذَّرهم من عذاب الآخرة.

(٦٤-٧٢) فضح المنافقين، وتأكيد وَلائَهم لِبعض، وتحذيرهم من سننه تعالى، وتأكيد وَلاء المؤمنين لبعض، وبيان صفاتهم وجزائهم.

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُواْ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ

أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللَّه فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾
وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ
وَلَعَنَهُمُ اللَّه وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً
وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِى الُّدنْيَا وَالأخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّه لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّه وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّه إِنَّ اللَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

توعد تعالى بفضح المنافقين فقال:{ يَحْذَرُ} ويخاف{ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِـ} حقيقة{ مَا فِي قُلُوبِهِم} فـ{ قُلِ} لهم{ اسْتَهْزِئُواْ} أي استمروا في استهزائكم بدين الله تعالى وبرسوله ﷺ فـ{ إِنَّ اللَّه مُخْرِجٌ} ومظهرٌ وفاضح{ مَّا تَحْذَرُونَ} وتخشون{ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} مُستنكرًا أفعالهم{ لَيَقُولُنَّ} معتذرين{ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ} في الحديث{ وَنَلْعَبُ} بالألفاظ، فـ{ قُلْ أَبِاللّهِ} تعالى{ وَآيَاتِهِ} وتشريعه{ وَرَسُولِهِ} ﷺ{ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} وتسخرون، ثمّ عنفهم تعالى فقال:{ لاَ تَعْتَذِرُواْ} عن سوء أفعالكم{ قَدْ كَفَرْتُم} بخوضكم ولعبكم{ بَعْدَ} إعلان{ إِيمَانِكُمْ} فـ{ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ} كَمَخشِي بن حَمير الأشجعي الذي صرَّح بنفاقه، ثمّ رضي بتغير اسمه كما أمره الرسول ﷺ وتسمى بعبدالرحمن أو عبدالله، وسأل رسول ﷺ أن يُقتل شهيدا لا يُعلم بمكانه فَقُتل يوم اليمامة شهيدًا، كما ورد في كتاب مغازي الواقدي مختصرًا، وسـ{ نُعَذِّبْ طَائِفَةً} أخرى{ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ} كجلاس ابن سويد الذي قال: والله، لئن كان محمد صادقا فيما قال لإخواننا الذين خلفناهم(أي في المدينة المنورة) وهم سراتنا وأشرافنا، لنحن شرٌ من الحمير، ثمّ أنكر ذلك عند رسول الله ﷺ كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان مختصرًا.

ثم أشار تعالى للعداء الأزلي الذي في قوله تعالى{... بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ...} والوارد في سورة البقرة والأعراف وطه، والذي كان سببه استكبار إبليس على أمر الله تعالى بالسجود لآدم (ع‌س) فبيّن بعض أسبابه فقال:{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ} ولايةً ونصرًا وتأييدًا أوّلًا، ثانيًا{ يَأْمُرُونَ} الناس{ بالْمُنكَرِ} الذي أنكره تعالى ورسوله ﷺ، ثالثًا{ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} المأمور بفعله{ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} عن الصدقة للمحتاجين رابعًا، فهم بذلك{ نَسُواْ} هدي{ اللَّه} تعالى بإعراضهم واستكبارهم{ فَنَسِيَهُمْ} وتركهم في ضلالهم يعمهون فزاد نفاقهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا...}﴿١٠﴾ ثمّ جزم تعالى وقال:{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} العاصون المستكبرون على الله تعالى رسوله ﷺ، فـ{ وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} في الآخرة و{ هِيَ حَسْبُهُمْ} وحظهم وجزئهم{ وَلَعَنَهُمُ اللَّه} في الدنيا فطردهم من رحمتِه{ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} لا نهاية له في الآخرة.

فكانت عقوبتهم{ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} من الأمم، والذين{ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً} وعلوًّ وتجبرًا{ وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً} وأُبهةً{ فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ} وحظوظهم الدنيوية{ فَاسْتَمْتَعْتُم} معشر المنافقين والكفّار{

بِخَلاَقِكُمْ} وحظوظكم{ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ} في آيات الله تعالى لعبًا واستهزاءً{ كَالَّذِى خَاضُواْ} فـ{ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ} وخابت{ أَعْمَالُهُمْ فِى الُّدنْيَا وَالأخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} في الدارين، ثمّ استنكر تعالى فقال:{ أَلَمْ يَأْتِهِمْ} خبر و{ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وِأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} أي قرى قوم لوط (ع‌س) الثلاث، فأهلكهم تعالى لمّا{ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} والمعجزات والدلائل والبراهين{ فَمَا كَانَ اللَّه} أبدًا{ لِيَظْلِمَهُمْ} بعذابهم، وما ربك بظلّام للعبيد{ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بإنكارهم واعراضهم واستكبارهم.

ثّم بيّن تعالى صفات المؤمنين المخالفة للمنافقين فقال:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء} ومناصرين ومؤيدين لـ{ بَعْضٍ} أوّلًا، فتراهم{ يَأْمُرُونَ} الناس{ بِالْمَعْرُوفِ} والإيمان ثانيًا،{ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} ثالثًا{ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ} المفروضة ويتطوعون رابعًا{ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} للمحتاجين ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته خامسًا{ وَيُطِيعُونَ اللَّه وَرَسُولَهُ} في كل ما أمروا ونهوا عنه سادسًا، فـ{ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّه} لا محالة في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ و{ إِنَّ اللَّه عَزِيزٌ} لا يقبل إلّا دينه، ناصرٌ أهل طاعته، مُخذلٌ

عُصاتَه، غالبٌ في كل شأنه{ حَكِيمٌ} في شرعه وجزاءاته، فـ{ وَعَدَ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} في الآخرة{ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا{ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ} { وَ} لهم{ رِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ} من كُلِّ ذلك و{ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} في الآخرة.

الملخص: -

فضح تعالى ما في قلوب المنافقين، وأكّد ولائهم لبعض، وبيّن جزائهم، وأكّد موالاة المؤمنين لبعض، وبيّن صفاتهم وثوابهم.

(٧٣-٨٠) الأمر بمجاهدة الكفار والمنافقين وبيان سلوكهم، وتأكيد عدم قبول توبتهم.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّه وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّه عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّه لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا

أَخْلَفُواْ اللَّه مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّه عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّه مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّه لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّه لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴿٨٠﴾

بيّن تعالى أنّ العداء أزلي بيّن المؤمنين وغيرهم كالكافرين والمشركين والمنافقين، فهم يعادون دين الله تعالى وشرائعه ورسوله ﷺ، فأوجب تعالى مجاهدتهم لإقامة دينه تعالى في الأرض فقال:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} العقوبات كقوله تعالى في سورة المائدة:{ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٣٣﴾ ثمّ بيّن تعالى مآلهم في الآخرة فقال:{ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} إن لم يتوبوا.

ثمّ فضحهم تعالى وقال:{ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ} كذبًا أن{ مَا قَالُواْ} كجلاس ابن سويد ابن الصامت لقوله: والله، لئن كان محمد صادقا فيما قال عن

إخواننا المتخلفين(أي عن غزوة تبوك) لنحن شرٌ من الحمير، ثمّ أنكر ذلك عند رسول الله ﷺ، فكذّبه تعالى وقال:{ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ} ونزلت الآية كما ورد في كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الشامي مختصرًا، أن رسول الله ﷺ لما رجع قافلا من تبوك إلى المدينة في السنة التاسعة من الهجرة، تآمر بعض المنافقون للمكر برسول الله ﷺ بطرحه في عَقَبَةٍ في الطريق في ظلمة الليل، وفي لفظ: ليقتلوه، فتلثموا وساروا إليه، وكان مع الرسول ﷺ عمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، فاستقبل حذيفة رواحِلهم بالمجن، فعلموا أنّ أمرهم قد ظهر، فأسرعوا وخالطوا الناس، فقال لهم رسول الله ﷺ:" هل علمتم شأنهم وما أرادوا"؟ قالوا: لا، فقال ﷺ: أن الله تعالى قد أخبرني بأسمائهم، وعدّ عَشَرةَ منهم، فقيل: يا رسول الله، أفلا تأمر بهم فتضرب أعناقهم، قال: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمدا وضع يده في أصحابه، فلما أصبح أرسل إليهم، فقال:" أردتم كذا وكذا"، فحلفوا بالله ما قالوا، ولا أرادوا. ثمّ قال تعالى:{ وَمَا نَقَمُواْ} ولا حقدوا{ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّه وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ} من غنائم الغزوات{ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ} فتاب الجلاس كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان{ وَإِن يَتَوَلَّوْا} ويُعرضوا عن هدي الله تعالى{ يُعَذِّبْهُمُ اللَّه عَذَاباً أَلِيماً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ} يشفع لهم{ وَلاَ نَصِيرٍ} ينصرهم من العذاب الأليم.

ثمّ قال تعالى:{ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّه لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِـ} سبب{ مَا أَخْلَفُواْ اللَّه مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ} على رسول الله ﷺ{ أَلَمْ يَعْلَمُواْ} يقينًا{ أَنَّ اللَّه يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّه عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} ونزلت في ثعلبة بن حاطب الذي طلب من رسول الله ﷺ أن يرزقه مالًا، فقال له ﷺ: يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له ﷺ، فاتخذ غنما فنمت حتى ضاقت بها المدينة، فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة، فلما بعث رسول الله ﷺ لأخذ الصدقات مرُّوا بثعلبة: فقال ما هذه إلا جزية، فلما نزلت الآيات جاء ثعلبة بالصدقة، فقال رسول الله ﷺ إن الله منعني أن أقبل منك، ثمّ قُبض رسول الله ﷺ، فجاء بها إلى أبى بكر (رلع) فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر (رلع) في خلافته فلم يقبلها، وهلك في زمان عثمان (رلع)، كما ورد في تفسير النسفي مختصرًا.

ثمّ قال تعالى عنهم:{ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ} لغزوة تبوك، بعد أن رغَّب رسول الله ﷺ في الصدقة، فقام عبد الرحمن بن عوف، فتصدق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عدى، فتصدق بمائة وسق من تمر، فقالوا ما هذا إلا رياءً، كما ورد في سيرة ابن هشام مختصرًا{ وَالَّذِينَ} أي ويلمزون الذين{ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ} كأبو عقيل أخو بني أنيف الذي تصدق بصاع من تمر، فتضاحكوا وقالوا: إن الله لغني عن صاعه، كما ورد في سيرة ابن هشام مختصرًا، فردّ الله عليهم فقال:{ سَخِرَ اللَّه مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة.

ثمّ جزم تعالى فقال:{ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّه لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّه} من سننه تعالى أن{ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} لدينه، ونزلت كما ورد في سيرة ابن هشام مختصرًا، عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب (رلع) يقول: لما توفي عبد الله بن أبي، دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحولت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي بن

سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أَعُدُّ أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر، أخر عني، إني قد خيرت فاخترت، قد قيل لي: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له، لزدت، قال: ثم صلى عليه رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فرغ منه، قال: فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان.

الملخص: -

أمر تعالى بمجاهدة الكفار والمنافقين لإقامة الدين في الأرض، وبيّن سلوك بعضهم، وأكد عدم قبول توبتهم.

(٨١-٩٣) فضح المتخلفين عن غزوة تبوك، وتحريم خروجهم مع المؤمنين، والنهي عن الصلاة عليهم، والأشاد بالمؤمنين والمُعذِّرين، وذكر صفاتهم.

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ

مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ
الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ
كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ
وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللّهُ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاء
الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ
الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ
عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء
رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

ذمّ تعالى المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك ضدَّ الرُّوم فقال:{ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ} وتخلُّفهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى{ خِلاَفَ} أمر{ رَسُولِ اللّهِ} ﷺ أولًا، ثانيًا{ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ} معتذرين{ لاَ تَنفِرُواْ} ولا تقاتلوا{ فِي الْحَرّ} لتخذيل المؤمنين عن الخروج مع رسول الله ﷺ، ف{ قُلْ} لهم إنَّ{ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً} يوم القيامة جزاء تَخلّفكم{ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} الجزاءات المترتبة على تخلُّفِهم{ فَلْيَضْحَكُواْ} في الدنيا{ قَلِيلاً} سرورًا بِقُبُول أعذارهم{ وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً} في الآخرة في جهنّم{ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}.

ثمّ بيّن تعالى عقوبتهم الدنيوية فقال:{ فَإِن رَّجَعَكَ اللُّه} بعد غزوة تبوك و{ إِلَى طَآئِفَةٍ مّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ} لغزوة أخرى{ فَقُل} لهم{ لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً} ولا مع المؤمنين من بعدي، والعقوبة الثانية{ وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ} ولا مع المؤمنين من بعدي{ عَدُوّاً} أبدًا جزاء{ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ} والتخلف عن الجهاد{ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ} أبدًا{ مَعَ الْخَالِفِينَ} العُجَّز، والعقوبة الثالثة:{ وَلاَ تُصَلّ} ولا يصلي أحدًا من المؤمنين{ عَلَى أَحَدٍ مّنْهُم مَّاتَ أَبَداً} فصلاته ﷺ سكنٌ للمؤمنين لقوله تعالى في سورة التوبة:{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِم بِهَا وَصَلّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ

لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿١٠٣﴾ والعقوبة الرابعة{ وَلاَ تَقُمْ} ولا يقم أحدًا من المؤمنين عند الدفن{ عَلَىَ قَبْرِهِ} بسبب{ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ} تعالى{ وَرَسُولِهِ} ﷺ، والعقوبة الخامسة{ وَمَاتُواْ} أي وسيموتون{ وَهُمْ فَاسِقُونَ} معرضون عاصون.

ثمّ زهّد تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين في أموال المنافقين وأولادهم فقال:{ وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ} فـ{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّه أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا} أوّلًا{ وَتَزْهَقَ} وتضمحل{ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} ثانيًا، تأكيدًا لقوله تعالى في نفس السورة:{ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ}﴿٥٥﴾.

ثمّ بيّن تعالى سبب آخر لتلك العقوبات فقال:{ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} تأمرهم بـ{ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ} تعالى{ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ} ﷺ{ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ} والغنى والجاه{ مِنْهُمْ} أي من المنافقين{ وَقَالُواْ} أي وسيقولون{ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ} المخلفين، فقد{ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ} من قبل{ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} النفاق فلا يخرج منها، ولا يدخلها إيمان{ فَهُمْ} أصبحوا{ لاَ يَفْقَهُونَ} الدين ولا الإيمان.

ثمّ امتدح تعالى المؤمنين فقال:{ لَـكِنِ الرَّسُولُ} ﷺ{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ} في سبيل الله{ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} في الدنيا والآخرة{ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} في الدارين، و{ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ} وهم في دنياهم{ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا و{ ذَلِكَ} هو{ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ثمّ امتدح تعالى المَعذُرون عن الجهاد من الأعراب فقال:{ وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} بالجهاد في سبيل الله رغم عُذرهم{ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} من المنافقين فـ{ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة.

ثمّ بيّن تعالى الذين قَبِلَ عُذرهم عن الجهاد فقال:{ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء} العاجزين عن حمل السلاح والقتال أولًا، ثانيًا{ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى} ثالثًا{ وَلاَ عَلَى} المُعسِرين{ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ} من مالٍ ولا سلاح{ حَرَجٌ} ولا إثم بعدم الخروج للغزو{ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ} ولدينه{ وَرَسُولِهِ} ﷺ بإسداء الرأي والجهد لمصلحة الإسلام والمسلمين{ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ} ولا ذنب ولا حجّة ولا ملامة{ وَاللَّهُ غَفُورٌ} لما مضى{ رَّحِيمٌ} لم يعاجلهم بالعقوبة وقبل عُذارهم{ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} على دواب لينفروا معكم و{ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} فـ{ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ} على أنفسهم للجهاد{ إِنَّمَا السَّبِيلُ} والإثم والمؤاخذة والملامة{ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء} وقد{ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ} والعُجَّز{ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} النفاق فلا يخرج منها ولا يدخلها إيمان جزاء تخلُّفهم{ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} الدين وعواقب تخلفهم عن الجهاد.

الملخص: -

ذم الله تعالى المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك، ومنعهم من الخروج مستقبلًا، ونهي تعالى الصلاة عليهم، وبيّن فضل المؤمنين والمقبول عُذرهم.

(٩٤-١٠٢) الأمر بعدم قبول أعذار متخلفي يهود، والإشادة بتميُّز السابقون بالإيمان، وبيان حقيقة فنافقي الأعراب والمدينة المنورة.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ

لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللُّه عَلَى رَسُولِهِ وَاللُّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللُّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللُّه فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللُّه عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللُّه أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

فضح تعالى المتخلفين عن غزوة تبوك فقال:{ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ} أي سيعتذرون عن تخلُّفهم{ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ} في المدينة المنورة{ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ} ولن نُصدق{ لَكُمْ} أبدًا فـ{ قَدْ نَبَّأَنَا} وأخبرنا{ اللُّه} تعالى{ مِنْ أَخْبَارِكُمْ} أثناء مسيرنا لتبوك، كما قال تعالى في سورة التوبة:{

وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ}﴿٤٧﴾ حتى قال تعالى:{ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ}﴿٥٠﴾ أمّا أهم أسباب تخلف اليهود ونفاقهم أنّ رسول الله ﷺ لم يكن من ذرية إسحاق (ع‌س)، ثانيًا أنهم يرهبون الروم لما أذاقوهم من ذل وهوان على مدى التاريخ من بعد عيسى (ع‌س) لمّا آمنت طائفة منهم وكفرت طائفة لقوله تعالى في سورة الصف:{... فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ}﴿١٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَسَيَرَى اللَّه عَمَلَكُمْ} أي وسيكشف تعالى حقيقة أعمالكم{ وَ} لـ{ رَسُولُهُ} ﷺ وللمؤمنين{ ثُمَّ} سـ{ تُرَدُّونَ} يوم القيامة{ إِلَى عَالِمِ} كلّ{ الْغَيْبِ} ماضيه وحاضره ومستقبله{ وَ} عالم{ الشَّهَادَةِ} وهو على كل شيء شهيد{ فَيُنَبِّئُكُم} ويخبركم{ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} فيجازيكم عليه، ثمّ قال تعالى:{ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ} كذبًا وزورًا{ إِذَا انقَلَبْتُمْ} ورجعتم{ إِلَيْهِمْ} من تبوك{ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ} أي لئلا تعرضوا عنهم{

فَأَعْرِضُواْ} وصدٌّ{ عَنْهُمْ} وكذِّبُوهم{ إِنَّهُمْ رِجْسٌ} وخبثٌ وإثمٌ وأذًى وقذرٌ{ وَمَأْوَاهُمْ} ومنزِلُهم ومُستَقرُّهِم{ جَهَنَّمُ جَزَاءً} وعقوبةً لهم{ بِـ} سبب{ مَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} وينافقون، فهم{ يَحْلِفُونَ لَكُمْ} كذبًا وزورًا{ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ} وعن تخلُّفهم{ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّه لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} الكاذبين المنافقين.

ثمّ بيّن تعالى أصناف الأعراب فقال:{ الأَعْرَابُ} عمومًا{ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً} من المنافقين{ وَأَجْدَرُ} وأولى وأحوط{ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللُّه} من شرائع وأحكام{ عَلَى رَسُولِهِ} ﷺ لخبثهم وسوء طباعهم{ وَاللُّه عَلِيمٌ} بكل شيء{ حَكِيمٌ} فيما يشرع ويحكم لكم، أمّا الصنف الثاني من الأعراب فقال تعالى عنهم:{ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ} ويحتسب{ مَا يُنفِقُ} في سبيل الله{ مَغْرَماً} عليه وجزية{ وَيَتَرَبَّصُ} ويتحين{ بِكُمُ} الفُرَص و{ الدَّوَائِرَ} لينقضُّوا عليكم، ولكن{ عَلَيْهِمْ} سَتَدُور{ دَآئِرَةُ السَّوْءِ} والخزي والعار{ وَاللُّه سَمِيعٌ} لكل شيء{ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية، ثمّ قال تعالى عن الصنف الثالث:{ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ} حقيقةً{ وَالْيَوْمِ الأخِرِ وَيَتَّخِذُ} ويحتسب{ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ} مبتغيًا رضاه{ وَ} مريدًا{ صَلَوَاتِ الرَّسُولِ} ﷺ كونها سكنٌ لهم{ أَلا إِنَّهَا} حقًا{ قُرْبَةٌ} وصدقةٌ

مقبولةٌ{ لَّهُمْ} و{ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّه} تعالى{ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّه غَفُورٌ} للمؤمنين التائبين{ رَّحِيمٌ} بخلقه.

ثمّ بيّن تعالى فضل السابقة من الناس للإيمان فقال:{ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ} إلى الإيمان{ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ} أوّلًا{ وَالأَنصَارِ} ثانيًا{ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم} من بعدهم{ بِإِحْسَانٍ} في عقيدتهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ثالثًا، فأولئك{ رَّضِيَ اللَّه عَنْهُمْ} وعن صدق إيمانهم{ وَرَضُواْ عَنْهُ} ربًا وحكمًا مشرعًا للعالمين{ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} و{ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

فمن قال أنّ المهاجرين والأنصار قد ارتدُّ عن الإسلام فقد آذى الله ورسوله وحلت عليه لعنه الله تعالى لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}﴿٥٨﴾ كما وحلّت عليه لعنة الله لافترائه الكذب على الله لقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم

بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ}﴿١٩﴾ وهم لا يفلحون في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾} وهم المجرمون لقوله تعالى في سورة يونس:{ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ}﴿١٧﴾ ويحذرهم تعالى من الاستئصال في الدنيا لقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبَا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ}﴿٦١﴾ ومثواهم جهنّم لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ}﴿٦٨﴾.

ومن أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغضهم فهو منافق يبغضه الله تعالى لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن البراء بن عازب (رلع) قال سمعت النبيّ ﷺ، أو قال: قال النبيّ ﷺ:" الأنصار، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله"، فمن انتقص من أحدهم شيئا أو طعن فيهم فهو منافق ومُكذِّب لله تعالى ورسول الله ﷺ.

ثمّ بيّن تعالى طبيعة منافقي الأعراب والذين في المدينة المنورة فقال:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ} كطائفة أولى{ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ} منافقون كطائفة ثانية{ مَرَدُواْ} وتمرَّسوا{ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} فـ{ سَنُعَذِّبُهُم} في الدنيا{ مَّرَّتَيْنِ} فلا طهارة لقلوبهم من النفاق لقوله تعالى في سورة المائدة:{... أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٤١﴾ والخزي الآخر عند وفاتهم لقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَـٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ}﴿٥٠﴾ { ثُمَّ} في الآخرة{ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} أمّا الطائفة الثالثة{ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} وقال تعالى عسى لأنّ أعمالهم مخلوطة صالحًا وسيئًا، ثمّ جزم تعالى فقال:{ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ} لمن استغفر وتاب{ رَّحِيمٌ} بخلقه لا يعاجل بالعقوبة.

الملخص: –

أمر تعالى عدم قبول أعذار متخلفي يهود، وأشاد بالسابقين بالإيمان، وبيّن حقيقة منافقي الأعراب والمدينة المنورة.

(١٠٣-١١٢) الأمر بأخذ صدقات متخلفين عن تبوك، وترك الصلاة في مسجد ضِرار وهدمه، وتأكيد مشتراه تعالى لأنفس المؤمنين وأموالهم وبيان صفاتهم.

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّه هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّه عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّه وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّه يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّه يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّه اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

لا زال الحديث عن الطائفة الثالثة من أعراب المدينة المنورة الذين قال تعالى فيهم:{ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} وقال تعالى عسى لأنّهم ليسوا سواء، خلطوا أعمالًا صالحةٍ وسيئة، ونزلت الآية كما ورد في كتاب السيرة النبوية لابن كثير مختصرًا، أنّهم كانوا عشرة رهطٍ تَخَلَّفُوا عن غزوة تبوك، وأوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد، فلما رجع ﷺ قال: من هؤلاء؟ قالوا: أبو لبابة وأصحابًا له، تخلفوا عنك حتى تُطلِقهم وتَعذُرَهم، قال:" وأنا أُقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكونَ اللهُ عزّ وجل هو الذي يطلقهم، رَغِبوا عني وتَخلفوا عن الغزو، فأنزل الله عزوجل: "وآخرون اعترفوا بذنوبهم" الآية، فأطلقهم ﷺ وعذرهم، فجاءوا بأموالهم وقالوا:" تصدق بها عنّا واستغفر لنا، فقال:" ما أُمرتُ أن آخذ أموالَكم"، فأنزل تعالى{ خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} لـ{ تُطَهِّرُهُمْ} من تخلفهم وخطاياهم{ وَ} لـ{ تُزَكِّيهِم بِهَا} فيرقى إيمانهم{ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} أي واستغفر لهم{ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ} وتثبيت وطمأنينة{ لَّهُمْ وَاللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ} بهم وبكل شيء{ أَلَمْ يَعْلَمُواْ} ويؤمنوا{ أَنَّ اللَّه هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ} ويقبل{ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّه هُوَ التَّوَّابُ} لكل تائب مستغفر{ الرَّحِيمُ} بخلقه، ثمّ قال تعالى:{ وَقُلِ} لهم{ اعْمَلُواْ} بما أمرتم به من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ فَسَيَرَى اللَّه} ويظهر حقيقة{ عَمَلَكُمْ} وتوبَتكَم{ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ} يوم القيامة{ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ} ماضيه وحاضره ومستقبله{ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم} ويُجازيكم{ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.

ثمّ قال تعالى عن الثلاثة المتخلفين عن الغزوة تباطأً:{ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ} ومؤخرون في قبول توبتهم{ لأَمْرِ اللّهِ} وحُكمِه وحِكمَتِه، فـ{ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ} في الدنيا قبل الآخرة{ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} بعدله وعلمه، وما ربُّك بظلّام للعبيد{ وَاللَّه عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية{ حَكِيمٌ} فيما يقضي ويُشرِّع ويحكم.

ثمّ قال تعالى عن المنافقين:{ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ} وبنوا{ مَسْجِداً} قبل غزوة تبوك، وسألوا رسول الله ﷺ أن يصلي فيه، ففضحهم تعالى وقال:{

ضِرَاراً} للمؤمنين أولًا، ثانيًا{ وَكُفْراً} بالله تعالى ورسوله ﷺ، ثالثًا{ وَتَفْرِيقاً بَيْنَ} صفّ ووحدة{ الْمُؤْمِنِينَ} رابعًا{ وَإِرْصَاداً} أي مقرًّا{ لِّمَنْ حَارَبَ اللَّه وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ} خامسًا{ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا} ولم نقصد{ إِلاَّ الْحُسْنَى} في الآخرة، فكذّبهم تعالى فقال:{ وَاللَّه يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ فقال:{ لاَ تَقُمْ} ولا تصلِّ{ فِيهِ أَبَداً} فهدمه ﷺ بعد رجوعه من تبوك، فـ{ لَّمَسْجِدٌ} كمسجد قباء{ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ} وأولى{ أَن تَقُومَ} وتُصلي{ فِيهِ} فـ{ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ} فكانوا يستَنجون بالماء من بول أو غائط{ وَاللَّه يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}.

ثمّ أشاد تعالى بصنيعهم فقال:{ أَفَمَنْ أَسَّسَ} وأقام{ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى} وورع{ مِنَ اللّهِ} تعالى{ وَرِضْوَانٍ} منه{ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا} حافّةٍ و{ جُرُفٍ} زائلٍ{ هَارٍ} واقعٍ{ فَانْهَارَ} وتهاوى{ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّه} من سننه أن{ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} فيذرهم في طغيانهم يعمهون، فـ{ لاَ يَزَالُ} وسيظل{ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً} وخديعةً راسخةً{ فِى قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ} وتتدثر{ قُلُوبُهُمْ} مرتدين{ وَاللَّه عَلِيمٌ} إذ أخبركم{ حَكِيمٌ} في كل ما يقضي ويشرع ويحكم.

ثمّ جزم تعالى فقال:{ إِنَّ اللَّه اشْتَرَى} وقَبِل{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ} وما يبذُلُون من جهد{ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ} فـ{ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ} تعالى لإقامة دينه في الأرض{ فَيَقْتُلُونَ} عدوّهم بتأييده تعالى{ وَيُقْتَلُونَ} شهداء في سبيله، فذلك{ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً} أخذه تعالى على نفسه{ فِي التَّوْرَاةِ} لمّا نزلت{ وَالإِنجِيلِ} من بعدها{ وَالْقُرْآنِ} المهيمن عليهما{ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ} أي وليس أحدٌ أوفى بعهده{ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ} معشر المؤمنين{ بِبَيْعِكُمُ} وعهدكم{ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ} الرابح{ الْعَظِيمُ} كقوله تعالى في سورة الصف:{ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ }﴿١٢﴾.

ثمّ عرّفهم تعالى فقال:{ التَّائِبُونَ} المستغفرون من كل ذنب{ الْعَابِدُونَ} الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون{ الْحَامِدُونَ} أبدًا في السراء والضراء{ السَّائِحُونَ} لإقامة دينه تعالى في الأرض وتبليغه{ الرَّاكِعُونَ} المخلصون في عبادتهم{ السَّاجِدونَ} المذعنون لربهم{ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} الذي أمر تعالى به ورسوله ﷺ{ وَالنَّاهُونَ عَنِ

الْمُنكَرِ} الذي أنكره تعالى ورسوله ﷺ{ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ} غير مفرطين ولا معتدين على حرماته{ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}.

الملخص: -

أمر تعالى بأخذ صدقات بعض المتخلفين، ونهى عن الصلاة في مسجد ضِرار وأمر بهدمه، وأكّد تعالى مشتراه لأنفس المؤمنين وأموالهم، وبيّن صفاتهم.

(١١٣-١٢١) النهي عن الاستغفار للمشركين، وبيان أهل توبته تعالى، والأمر بتقواه، والنهي عن التخلُّف عنه ﷺ، وبيان ثواب الملتزمين بأمره.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ
خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ
وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لأَهْلِ
الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ
بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي
سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ
كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلاَ يُنفِقُونَ
نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

حرّم تعالى الاستغفار للمشركين مهما كانت قرابتهم فقال:{ مَا كَانَ} ولا يجوز{ لِلنَّبِيِّ} ﷺ{ وَ} لا{ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ} من الله تعالى{ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} ولقد حرّم تعالى مودتهم في قوله تعالى في سورة المجادلة حيث قال:{ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ...}﴿٢٢﴾ ثمّ علل تعالى سبب

استغفار إبراهيم (ع‌س) لعمّه فقال:{ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} أمّا والديه فقد استغفر لهما إبراهيم (ع‌س) آخر حياته في قوله تعالى في سورة إبراهيم:{ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ}﴿٤١﴾ وسمّاه تعالى أبيه تكرمةً للعم{ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ} بعبادة الأصنام{ تَبَرَّأَ مِنْهُ} ومن فعله، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ} كثير التضرع{ حَلِيمٌ} على الناس.

ثمّ جزم تعالى ببعض سننه تعالى فقال:{ وَمَا كَانَ اللّهُ} أبدًا، ومن المحال{ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ} وأرسل إليهم الرُّسُل{ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ} من محرّمات، ثمّ جزم تعالى بكمال علمه فقال:{ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ} في السماوات والأرض{ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية، ثمّ أكّد تعالى أمورًا فقال:{ إِنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وما بينهما أوّلًا، ثانيًا وهو{ يُحْيِي وَيُمِيتُ} في كل لحظة ما يشاء، ثالثًا{ وَمَا لَكُم} معشر المؤمنين{ مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ} ينصركم ويدافع عنكم، رابعًا{ وَلاَ نَصِيرٍ} ينصركم من دونه.

ثمّ بيّن تعالى سابق توبته فقال:{ لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيّ} ﷺ إذ قَبِلَ تخلُّف بعض المنافقين أوّلًا، ثانيًا{ وَالْمُهَاجِرِينَ} ثالثًا{ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} لغزوّة تبوك لمّا قلَّ الزاد والمال{ مِن بَعْدِ مَا كَادَ} وأوشك ان{ يَزِيغُ} ويميل{ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ} عن الحقّ{ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} وأكّد{ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ} عطوف{ رَّحِيمٌ} رابعًا{ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ} وهم كعب بن مالك، وهلال بن أُميَّة، ومُرَارة بن الربيع، عقوبة لهم لتسويفهم وتخلفهم{ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} من شدة الهَم وجفوة المؤمنين لهم{ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ} حزنًا وأسى لمدّة خمسين يومًا{ وَظَنُّواْ} أي وتيقنّوا{ أَن لاَّ مَلْجَأَ} من عقوبته تعالى ولا مأوى{ مِنَ اللّهِ إِلاَّ} الرجوع والتوبة{ إِلَيْهِ} سبحانه{ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} فقبل توبتهم{ لِيَتُوبُواْ} ولا يسوّفوا ولا يتخلفوا مرة أخرى، ثمّ جزم تعالى فقال:{ إِنَّ اللَّه هُوَ التَّوَّابُ} الذي يقبل التوب، الراحم{ الرَّحِيمُ} الذي لا يعاجل بالعقوبة.

ثمّ أمر تعالى المؤمنين فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّه} في كل شؤونكم{ وَكُونُواْ} مؤيّدين و{ مَعَ} المؤمنين{ الصَّادِقِينَ} ف{ مَا كَانَ} ولا يجوز ولا يحل{ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ} المنورة{ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ} ﷺ في شأنٍ من شؤونه{ وَلاَ يَرْغَبُواْ} ولا يؤثروا{ بِأَنفُسِهِمْ

عَن نَّفْسِهِ} ﷺ، ثمّ علل تعالى ذلك فقال:{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ} ولا عطش أوّلًا، ثانيًا{ وَلاَ نَصَبٌ} ولا تعب ولا مرض، ثالثًا{ وَلاَ مَخْمَصَةٌ} أي ولا مجاعة{ فِي سَبِيلِ اللّهِ} رابعًا{ وَلاَ يَطَؤُونَ} ولا ينزلون{ مَوْطِئاً} ولا يصنعون صنيعا{ يَغِيظُ} ويكرَهَهُ{ الْكُفَّارَ} من عقيدة أو عبادات أو أخلاق أو معاملات، خامسًا{ وَلاَ} يَدحُرون ولا{ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً} أو هزيمةً{ إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ} جزاءٌ{ عَمَلٌ صَالِحٌ} في الدنيا قبل الآخرة، ثمّ جزم تعالى فقال:{ إِنَّ اللَّه لاَ يُضِيعُ} أبدًا{ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} سادسًا{ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً} أو نُصحًا{ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً} سابعًا{ وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً} رجالًا على أقدامهم، أو ركبانًا على رواحلهم أو آلاتهم{ إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ} في سجل حسناتهم{ لِيَجْزِيَهُمُ اللُّه أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾.

الملخص: –

نهى تعالى عن الاستغفار للمشركين، وبيّن أهل توبته، وأمر بتقواه تعالى، ونهي عن التخلُّف عن الغزو معه ﷺ، وبيّن ثواب الملتزمين بأمره.

(١٢٢-١٢٩) بيان أهمية التفقه في الدين، والأمر بمجاهدة الكفّار وبيان بعض سلوكهم، وتأكيد حرص الرسول ﷺ على هداية العرب والنّاس.

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

بعد أن أتمّ تعالى الحديث عن تفاصيل آخر وأهم غزوة غزاها الرسول ﷺ في العام التاسع من الهجرة، وهي غزوة تبوك، والتي كانت لمواجهة الروم بسبب مُرادهم اجتثاث الإسلام من الأرض بعد أن فتح رسول الله ﷺ مكّة المكرمة، فتنازلوا عن مواجهته، وتركوا بعض مواقعهم لمّا علموا أن الرسول ﷺ خرج لملاقاتهم، فتيقنوا بصدق رسالته، وأنَّه لا طاقة لهم للقاء الرُّسل، ولذلك بيّن تعالى أهمية التفقه في الدين لضمان استدامته ورسوخه في الأمة فقال:{ وَمَا كَانَ} الله تعالى ومن المحال أن يفرض على جميع{ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ} للتفقه في الدين{ كَآفَّةً} لا يتخلف منهم أحد{ فَلَوْلاَ نَفَرَ} وخَرج{ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ} وقبيلةٍ{ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ} وجماعةٌ{ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ} من عقيدةٍ وعباداتٍ وأخلاقٍ ومعاملاتٍ{ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ} من مغبّة مخالفة أحكامه تعالى{ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} الوقوع في الحرمات، وليتجنبوا العقوبات التي حلّت بمن قبلهم من الأمم كما قال تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}۝١٤.

والغاية من التفقه في الدين إقامته في الأرض، وهو الهدف الأسمى الذي شرعه تعالى للأمّة لقوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...}﴿١٤﴾ ولتحتكم لهذا الدين البشرية لقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا}﴿١٠٥﴾ ولذلك بيّن تعالى أهمية مجاهدة الكُفر فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ} وجاهدوا{ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ} أي الأقرب فالأقرب، في كل المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها{ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ} شدّة و{ غِلْظَةً} للالتزام بهدي الله تعالى ورسوله ﷺ{ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه مَعَ} ومؤيد وناصر{ الْمُتَّقِينَ}.

ثمّ بيّن تعالى أسباب مقاتلة الكفّار فقال أولًا:{ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} تبيّن شرائعه تعالى وأحكامه{ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ} مستهزئً مستنكرًا{ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ} الآية{ إِيمَاناً} وفهمًا وعلمًا، فقل لهم:{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً} ويقينًا{ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} بما وعدهم تعالى من النصر والتمكين لقوله تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ...}﴿٥٥﴾ { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} كالكفر والنفاق{ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً} وخبثًا{ إِلَى رِجْسِهِمْ} الذي في قلوبهم{ وَمَاتُواْ} أي وسيموتون{ وَهُمْ كَافِرُونَ} كقوله تعالى في سورة فصّلت:{... قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ}﴿٤٤﴾.

ثمّ استنكر تعالى عدم اتعاظ الكافرين بالعقوبات التي يمضيها تعالى فيهم فقال:{ أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ} بالمصائب والجزاءات{ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} بالأعاصير والزلازل والجوائح وغيرها{ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ} ولا يتعظون، ثمّ ذكر تعالى سببًا آخر فقال:{ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ} وتولوا معرضين مستكبرين، والحقيقة أنْ{ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم} عن فهم الدين{ بِ} سبب{ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون} ولا يؤمنون.

ثمّ أشاد تعالى بحرص رسوله ﷺ على إيمان العرب خاصّة والنّاس عامّة فقال:{ لَقَدْ جَاءكُمْ} وأُرسل إليكم{ رَسُولٌ} عربي{ مِّنْ أَنفُسِكُمْ} وبلغتكم{ عَزِيزٌ} وشاقٌ{ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} وشاققتم وتعنّتم واستكبرتم، وهو ﷺ

محبًا لكم و{ حَرِيصٌ عَلَيْكُم} وعلى هدايتكم وإيمانكم، وهو{ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ} شفيق{ رَّحِيمٌ} يرجوا رحمته تعالى لكم{ فَإِن تَوَلَّوْاْ} وأبوا إلّا الاعرض ولاستكبار{ فَقُلْ حَسْبِيَ} ومعتمديَ{ اللَّه لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} لتبليغ رسالته وإقامة دينه في الأرض ليحتكم إليه النّاس{ وَهُوَ رَبُّ} وفاطر وخالق{ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}.

الملخص: -

أمر تعالى بالتفقه في الدين، وبمجاهدة الكفّار، وبيَّن بعض سلوكهم، وأكَّد تعالى حرصه ﷺ على إيمان العرب خاصّة والنّاس عامّة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة يونس ترتيبها (١٠) آياتها (١٠٩)

(١-١١) القسم بأنّ القرآن هو الكتاب الحكيم، والتدليل على ربوبيته تعالى، والنار جزاء الكافرين، والجنان منزلًا للمتَّقين، وإمهال الظالمين ليزدادوا ضلالًا.

الٓرۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ٱلْأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

يقسم الله تعالى بـ{ الٓرٰ} وجواب القسم أنّ{ تِلْكَ} الـ{ آيَاتُ} هي آيات{ الْكِتَابِ} العزيز{ الْحَكِيمِ} ثمّ استنكر تعالى الكافرين فقال:{ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا} وأرسلنا{ إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ} ومن جنسهم وبلغتهم نأمُرُهُ{ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ} من عذاب في الدنيا قبل الآخرة{ وَ} أن يُ{ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ} ومُثولٍ{ عِندَ رَبِّهِمْ} يوم القيامة! فـ{ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا} النبي{ لَسَاحِرٌ} واضحٌ جليٌ{ مُّبِينٌ}.

أكّد تعالى قائلًا:{ إِنَّ رَبَّكُمُ} معشر الخلق{ اللَّهُ} الواحد الأحد الفرد الصمد، ثمّ بدأ تعالى ببيان آياته وبراهينه ومعجزاته متحديًا الإنس والجن مجتمعين على أن يأتوا بمثلها، فقال أوّلًا:{ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ} من أيّامه، ويومه تعالى كألف سنة من سِنِيّ الأرض لقوله

تعالى في سورة الحج:{... وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}﴿٤٧﴾ فَخَلَقَهُما في سِتَّةَ آلاف (٦٠٠٠) سنة من سِنِيّ الأرض، بعد أن كانتا كتلةً واحدة لقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ ...}﴿٣٠﴾ ثمّ كانتا دخانًا لقوله تعالى في سورة فصّلت:{ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ}﴿١١﴾ وأثنائها خلق الأرض في أربعة آلاف (٤٠٠٠) سنة لقوله في سورة فصّلت:{ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ}﴿١٠﴾ { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} خاضعًا لأمره كل شيء، و{ يُدَبِّرُ الأَمْرَ} لِكلِّ خَلقِه، و{ مَا مِن شَفِيعٍ} يوم القيامة{ إِلاَّ مِن بَعْدِ} أمره و{ إِذْنِهِ} ومشيئته، فـ{ ذَلِكُمُ اللَّه رَبُّكُمْ} خالقكم وفاطركم{ فَاعْبُدُوهُ} بطاعته في كل ما أَمر ونَهى، ثمّ استنكر تعالى فقال:{ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} وتعلمون! فـ{ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً} ذلك{ وَعْدَ اللّهِ حَقّاً} وصدقًا، ثمّ جزم تعالى وقال:{ إِنَّهُ} تعالى{ يَبْدَأُ} ويُنشِئ{ الْخَلْقَ} بكلِّ أجناسه{ ثُمَّ يُعِيدُهُ} في الآخرة{ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ} والعدل{ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ

لَهُمْ} في جهنّم{ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ} فـ{ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ}﴿٤٦﴾ كما قال تعالى في سورة الدخان{ وَ} لهم{ عَذَابٌ} آخر{ أَلِيمٌ} في سلسلة عذابات لقوله تعالى في سورة الحاقّة:{ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ}﴿٣٢﴾ جزاءً عدلًا{ بِـ} سبب{ مَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} ويعرضون ويستكبرون.

ثمّ أشار تعالى إلى آيةً ثانيةً فقال:{ هُوَ الَّذِى جَعَلَ} وصَيَّر{ الشَّمْسَ} ملتهبةً{ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ} صيّره عاكسًا{ نُوراً وَقَدَّرَهُ} في فلكه{ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ} ولتُحصوا{ عَدَدَ السِّنِينَ} وآجال عقودكم ومعاملاتكم{ وَالْحِسَابَ} فـ{ مَا خَلَقَ اللَّه} كلَّ{ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ} الثابت بالدليل والبرهان{ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ} في خَلقِه{ لِقَوْمٍ} عارفين{ يَعْلَمُونَ} صدق إخباره، ثمّ جزم تعالى مبينًا آية ثالثة فقال:{ إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ} طبيعة{ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ} اختلاف{ مَا خَلَقَ اللَّه فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} من مخلوقات وأجرام{ ٱلْأَيَـٰتٍ} وبراهين على صدق إخباركم و{ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} عقوبته في الدنيا قبل الآخرة.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ} ولا يأملون{ لِقَاءنَا} يوم القيامة{ وَرَضُواْ} وأحبوا وسَعِدوا{ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وزينتها{ وَاطْمَأَنُّواْ} وابتهجوا{ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا} في خلقنا وفي أنفسهم{ غَافِلُونَ} معرضون، فـ{

أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَاهُمُ} ومنزلُهم{ النُّارُ بِ} سبب{ مَا كَانُواْ} يعملون و{ يَكْسِبُونَ} و{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} ف{ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ} في الدنيا لمرضاته{ بِ} سبب{ إِيمَانِهِمْ} وتصديقهم{ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ} المقيم{ دَعْوَاهُمْ} وندائهم{ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا} من ربهم والملائكة{ سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ} ومناجاتهم{ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ثمّ بيّن تعالى سابق رحمته فقال:{ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّه لِلنَّاسِ الشَّرَّ} الذي يدعون به{ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ} الذي يرجونه{ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ} وهلكوا في الدنيا كما قال تعالى عنهم في سورة الأنفال:{ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}﴿٣٢﴾ ولكن نمهلهم{ فَنَذَرُ} ونترك{ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} ويضِلُّون.

الملخص: -

أقسم تعالى بأن الآيات هي الكتاب الحكيم، ودلل على ربوبيته، وأكَّد أنّ النار جزاء الكافرين، والجنان منزلًا للمؤمنين، وأمهل الظالمين ليزدادوا ضلالا.

(١٢-٢١) ضرب المثل لأحوال الكافرين، ودحض حجهم ومزاعمهم، والتحذير من سننه تعالى وجزاءاته.

وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِى الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاء اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّه بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِى السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِى الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ

لِلَّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾

يستنكر تعالى فيقول:{ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ} الكافر المعرض عن هدي الله تعالى{ الضُّرُّ} والأذى{ دَعَانَا} على كل أحواله{ لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً} لكشف ما نزل به{ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ} معرضا مستكبرًا غير شاكرًا ولا حامدًا و{ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ} وأحاط به، و{ كَذَلِكَ} ومن سننه تعالى أن{ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ} المستكبرين{ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} من اعراض واستكبار واستهزاء{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ} وكفروا واستكبروا{ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} والدلائل والبراهين{ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ} بسبب كفرهم وعنادهم كقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿٧﴾ ف{ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} في الدنيا قبل الآخرة{ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ} معشر النّاس{ خَلاَئِفَ} يخلف بعضكم بعضًا{ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} أتؤمنون أم تكفرون.

ثم ردّ تعالى على حجج الكافرين فقال أوَّلًا:{ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} واضحات جليات{ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ} ولا يأملون{ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ} لنؤمن لك ونصدقك فـ{ قُلْ} لهم{ مَا يَكُونُ} ولا يحق{ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ} أو أغير من شيءٍ فيه{ مِن تِلْقَاء نَفْسِى} ولا برغبتي{ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} من ربي{ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} في الدنيا والآخرة، ثانيًا: و{ قُل} لهم{ لَّوْ شَاء اللُّه} تعالى ما أوحاه إليَّ و{ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم} ولا أخبركم{ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ} وعشت{ فِيكُمْ} وبينكم{ عُمُراً} حتى الأربعين{ مِّن قَبْلِهِ} ما قرأت ولا كتبت وما تلوت ولا أشعرت من شيئ{ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} وتتفكرون أنّه من رب العالمين، ثالثًا: وما كان لي أن أكذب على الله تعالى{ فَمَنْ أَظْلَمُ} وأعظمُ جرمًا{ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} ومن سننه تعالى{ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ} ولا يفوز{ الْمُجْرِمُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الأنعام:{... سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ}﴿١٢٤﴾.

رابعًا:{ وَيَعْبُدُونَ} آلهةً صُمٌّ بُكمٌ عميٌ{ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ} كذبًا وزورًا{ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ} فـ{ قُلْ} لهم

مستنكرًا{ أَتُنَبِّئُونَ} وتخبرون{ اللَّه بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ} وهو بكل شيء عليم{ سُبْحَانَهُ} تقدس وتنزَّه{ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ويعبدون.

ثمّ ذكّرهم تعالى فقال:{ وَمَا كَانَ النَّاسُ} من قبل{ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً} من بعد آدم (ع س){ فَاخْتَلَفُواْ} مؤمنًا وكافرًا{ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ} ووعد مضى{ مِن رَّبِّكَ} بالفصل بينهم في الأجل المسمى{ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} في الدنيا{ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} ويختصمون، خامسًا:{ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} ومعجزة وبرهان{ مِّن رَّبِّهِ} لنؤمن به{ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ} ماضيهِ وحاضرِهِ ومستقبلِه{ لِلّهِ} وحده{ فَانْتَظِرُواْ} سننه التي مضت من قبل{ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ} ما يحِلُّ وينزل بكم كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}﴿١٤﴾ سادسًا:{ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً} ونِعمةً{ مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ} وإعراضٌ وعناد{ فِي آيَاتِنَا} ف{ قُلِ اللَّه أَسْرَعُ مَكْراً} وعذابًا ف{ إِنَّ رُسُلَنَا} من الملائكة{ يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ} وتكيدون.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لأحوال الكافرين، ودحض حُجهم ومزاعمهم، وحذّرهم من سَننه وجزاءاته.

(٢٢-٣٠) ضرب المثل لمراوغة الكافرين، والمثل للحياة الدنيا، وبيان سننه تعالى في المؤمنين والكافرين، وتأكيد تخاصم الشركاء يوم القيامة.

هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّه يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ
أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء
سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ
وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ
فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُمْ مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا
أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

ضرب تعالى المثل لمراوغة الجاحدين الكافرين فقال:{ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ} بما منحكم من نِعمٍ وتدبير{ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} كقوله تعالى في سورة النحل:{ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}﴿١٦﴾ { حَتَّى إِذَا كُنتُمْ} ورَكِبتم{ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ} فابتهجوا{ وَفَرِحُواْ} وسُرّوا{ بِهَا جَاءتْهَا} وفاجأتهم{ رِيحٌ عَاصِفٌ} هائج{ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ} يتقاذفُهم{ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ} يقينًا{ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ} وحان هلاكهم{ دَعَوُاْ اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ} مِحنَتِنا{ هَـذِهِ لَنَكُونَنّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} الحامدين{ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ} ويعتدون على محارم الله{ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ} ف{ يَا

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا} تجنون من نفعٍ بسوء{ بَغْيُكُمْ} وعدوانكم راجعٌ{ عَلَى أَنفُسِكُم} وما هو إلّا{ مَّتَاعَ} وزينة{ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ} يوم القيامة{ فَنُنَبِّئُكُم} ونجازيكم في الدنيا قبل الآخرة{ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وتكسبون، كقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ}٥٦.

ثمّ ضرب تعالى المثل للحياة الدنيا فقال:{ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ومتاعها وزينتها{ كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ} فأزهرت وأنبتت وربت{ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا} وجمالها وبهجتها{ وَازَّيَّنَتْ} بخضرتها وألوانها{ وَظَنَّ} وأيقن{ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا} بتسخيرها والانتفاع بكل شيءٍ فيها{ أَتَاهَا أَمْرُنَا} فرججناها وزلزلناها وبسسناها{ لَيْلاً} عند أناس{ أَوْ نَهَاراً} عند آخرين{ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً} جرداء قاحلةً لا عَمَارَ عليها، و{ كَأَن لَّمْ تَغْنَ} ولم تُعْمَر ولم تُزيّن ولم تُزخرف{ بِالأَمْسِ} ف{ كَذَلِكَ} وبهذا الأمثال{ نُفَصِّلُ الآيَاتِ} والدلائل والبراهين{ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} في عواقب صنيعهم وأفعالهم.

ثمّ قال تعالى:{ وَاللَّهُ يَدْعُو} الناس بهذا الدين{ إِلَى دَارِ السَّلاَمِ} في الدنيا والآخرة{ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ} بسابق علمه حقيقة ما في القلوب{ إِلَى

صِرَاطٍ} وسبيل وطريق{ مُّسْتَقِيمٍ} لا عوج ولا شطط فيه، فـ{ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ} جزاءً{ الْحُسْنَى} في الدارين كقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}٩٧ { وَزِيَادَةٌ} في الآخرة من فضله تعالى، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد، ويعفوا عن كثير، ثمّ لذّة النظر إلى وجهه تعالى يوم القيامة{ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ} أدنى{ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ} ولا مهانة و{ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} مخلّدون{ وَ} أما{ الَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ} بكفرهم وعصيانهم واعراضهم واستهزائهم واستكبارهم فـ{ جَزَاء} كلّ{ سَيِّئَةٍ} اقترفوها{ بِمِثْلِهَا} في الآخرة{ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} وخزيٌ ومهانةٌ وندامة، و{ مَّا لَهُم مِّنَ} عقوبة{ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ} ولا مجير ولا شفيع ولا حميم، و{ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ} وغطيت{ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً} من سوادٍ{ مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً} فـ{ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ} ونزلاء{ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} مخلدون.

ثمّ بيّن تعالى شيئًا من مستقبل الغيب فقال:{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ} أي الإنس والجنّ{ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ} قِفوا{ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا} وفرّقنا{ بَيْنَهُمْ} خصمين لبعض{ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُمْ}

يُكذّبونهم{ مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا} في الدنيا{ تَعْبُدُونَ} ولا تدعون{ فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} يصدقنا ويكذّبكم{ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ} مسبحين ممجدين لقوله تعالى في سورة الإسراء:{... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}﴿٤٤﴾ والحقيقة أنّهم يعبدون الجن كما قال تعالى على لسان الملائكة في سورة سبأ:{ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ}﴿٤١﴾ وسيكونون عليهم ضدًا لقوله تعالى في سورة مريم:{ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا}﴿٨٢﴾ فـ{ هُنَالِكَ تَبْلُو} وتعاقب وتُجارى{ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ} من صنيع وعمل{ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ} ليجزيهم ما كسبوا{ وَضَلَّ} وغاب{ عَنْهُم} كل{ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} ويدعون ويكذبون.

الخلاصة: -

ضرب تعالى المثل لمراوغة الكافرين الجاحدين، والمثل للحياة الدنيا، وبيّن سننه تعالى في المؤمنين والكافرين، وأكد تخاصم الشركاء يوم القيامة.

(٣١-٤٤) إبطال حُجج الكفرين والمشركين، والجزم باستحالة افتراء القرآن، وتحديهم أن يأتوا بمثله، واستحالة هدايتهم.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّه فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّه رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّه يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّه يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّىَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّه عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ

أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ
بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ
أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ
تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّه لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـكِنَّ
النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

يوجه تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين لحوار الكفرة والمشركين فيقول:{ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} بنعم لا تُعدُّ ولا تحصى{ أَمَّن يَمْلِكُ} ويَخلُق{ السَّمْعَ والأَبْصَارَ} لخلقه من ملائكة وإنس وجنّ وحشرات، وحيوان ونبات في البر والبحر وغير ذلك{ وَمَن يُخْرِجُ} وينبت{ الْحَيَّ مِنَ} الأرض{ الْمَيِّتِ} بالمطر{ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ} كالظفر والشعر، والخلايا المَيِّتَة من جسم الإنسان، ويستبدلها بغيرها، والتي تعادل واحد من مليون من عدد خلايا الجسم للإنسان البالغ في كل ثانية تقريبًا{ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ} في السماوات والأرض{ فَسَيَقُولُونَ اللَّه فَقُلْ} لهم{ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} سننه وعقوباته وجزاءاته{ فَذَلِكُمُ اللَّه رَبُّكُمُ الْحَقُّ} خالق كلّ شيء، ومُعطيه صُورتُه وخواصُّهُ وهُداه ليقوم بوظيفته{ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ} الذي بيّنه تعالى{ إِلاَّ الضَّلاَلُ} والضياع{ فَأَنَّى} وكيف{ تُصْرَفُونَ} وتُبعدون عن الحقّ؟ فـ{ كَذَلِكَ

حَقَّتْ} ووجبت{ كَلِمَتُ رَبِّكَ} ووعده{ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ} وأعرضوا وكفروا بـ{ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} البتّة لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}۝٧ ثمّ{ قُلْ} وقولوا{ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم} التي تعبدون{ مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ} للسماوات والأرض والملائكة والإنس والجن وغيرها{ ثُمَّ يُعِيدُهُ} تناسلًا مرارًا وتكرارًا، ثمّ يعيده يوم القيامة للحساب والجزاء، فـ{ قُلِ اللَّه يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى} وكيف{ تُؤْفَكُونَ} وتُكَذِّبُون، و{ قُلْ} وقولوا{ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ} بإرسال الرسل وإنزال الكتب{ قُلِ اللَّه يَهْدِى لِلْحَقِّ} والصرط المستقيم لنَجاتكم في الدنيا والآخرة{ أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ} لكلِّ شيء{ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّىَ} ولا يَهدِي ولا يهتدي{ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} وتجحدون وتعرضون، ثمّ يؤكد تعالى قائلًا:{ وَ مَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً} وتخمينًا فـ{ إِنَّ الظَّنَّ} والزعم{ لاَ يُغْنِى} ولا يُجدي{ مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً} و{ إِنَّ اللَّه عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} وسيفعلون.

ثمّ جزم تعالى فقال:{ وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ} ومن المحال{ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ} كما زَعَموا لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ

ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴿٨٨﴾ { وَلَـٰكِن} هو{ تَصۡدِيقَ الَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ} من كتاب، التوراة أو الإنجيل وما قبلهما{ وَتَفۡصِيلَ الۡكِتَابِ} الذي أوحي إليكم وبين أيديكم{ لاَ رَيۡبَ} ولا شكَّ{ فِيهِ مِن رَّبِّ الۡعَالَمِينَ أَمۡ} يدَّعون و{ يَقُولُونَ افۡتَرَاهُ} وكذبه ولفّقه فـ{ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِ وَادۡعُواْ مَنِ اسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ اللّهِ} من الإنس والجن وغيرهم{ إِن كُنتُمۡ صَادِقِينَ} في دعواكم{ بَلۡ} الحقية أنهم{ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ} بفهمه ولا{ بِعِلۡمِهِ} ولا معرفته{ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ} بعدُ{ تَأۡوِيلُهُ} ووعوده من بَعثٍ ونُشُور وحِساب وجنّة ونار فـ{ كَذَلِكَ} وعلى منهجهم{ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ} من الأمم الكافرة{ فَانظُرۡ} وانظروا{ كَيۡفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء{ الظَّالِمِينَ} كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَمِنهُم مَّن} سـ{ يُؤۡمِنُ بِهِ وَمِنۡهُم مَّن لاَّ يُؤۡمِنُ بِهِ} عنادًا واستكبارًا{ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِالۡمُفۡسِدِينَ} الجاحدين المنكرين{ وَإِن كَذَّبُوكَ} وكذّبوكم{ فَقُل لِّى} جزاء{ عَمَلِى وَلَكُمۡ} جزاء{ عَمَلُكُمۡ} في الدنيا والآخرة، ولا سواء لقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ

وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴿٢١﴾ فـ{ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ} من الصالحات{ وَأَنَاْ بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} من فُسوق وطغيان.

ثمّ أكّد تعالى استحالة هدايتهم لِشدة تَعنُّتهم فقال:{ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ} لقوله تعالى في سورة الكهف:{... إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا}﴿٥٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ} كقوله تعالى في سورة يس:{ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}﴿٩﴾ ثمّ جزم تعالى فقال:{ إِنَّ اللَّه لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً} بعُقُبتهم في الدنيا والآخرة{ وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بكفرهم وعنادهم واستكبارهم وعصيانهم.

الملخص: -

أبطل تعالى حجج الكفرين والمشركين، وجَزَمَ باستحالة افتراء القرآن، وتحداهم بأن يأتوا بمثله، وأكّد استحالة هدايتهم.

(٤٥-٥٨) بيان جزع الكافرين يوم القيامة، وتأكيد علم الساعة له وحده حيث لا ينفع إيمان ولا عِوض، وتبشير المؤمنين ليفرحوا بنزول القرآن.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّه شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللَّه لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي

وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

جزم تعالى بفزع وجزع وحسرة الكافرين يوم القيامة قائلًا:{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ} تعالى و{ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ} ولم يُعمّروا في الأرض{ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} ثمّ يؤكّد تعالى خسرانهم فيقول:{ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ} في الآخرة{ وَمَا كَانُواْ} في الدنيا أبدًا{ مُهْتَدِينَ} جزاء كفرهم واعراضهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾﴿٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ} عقوبتهم بـ{ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ} من جزاء في الدنيا{ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} قبل ذلك{ فَإِلَيْنَا} في كلا الحالين{ مَرْجِعُهُمْ} يوم القيامة{ ثُمَّ اللَّه} كان{ شَهِيدٌ عَلَى مَا} كانوا{ يَفْعَلُونَ} ويمكرون، ثمّ أكد تعالى فقال:{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ} أرسل تعالى{ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ} يوم القيامة{ قُضِىَ} وحُكم وفُصل{ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ} والعدل{ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} مثقال ذرة.

{ وَ} قد كانوا{ يَقُولُونَ} ساخرين مستهزئين{ مَتَى} يحين{ هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} فـ{ قُل} لهم{ لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِى} عِلم{ ضَرّاً} ينزل بِي{ وَلاَ} حتى{ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللَّه} أن يطلعني، فكيف أنبئكم خبر الساعة، كما ورد المعنى في تفسير القرطبي، فليعلموا يقينًا أنّ{ لِكُلِّ أُمَّةٍ} عنده تعالى{ أَجَلٌ} معلوم ومسمى فـ{ إِذَا جَاء} وحان{ أَجَلُهُمْ} عنده تعالى{ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً} ولا بُرهةً ولا لحظة{ وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} البتة، و{ قُلْ} وقولوا لهم{ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً} وأنتم نُوَّمٌ{ أَوْ نَهَاراً} يَقِظين فـ{ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ} إذا نزل وحلّ عليهم؟ { أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ} العذاب أو قامت القيامة{ آمَنْتُم} وصدّقتم{ بِهِ} فيقال لهم:{ آلآنَ} تصدقون وتؤمنون{ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} وتُنكرون{ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ} يوم القيامة{ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ} في جهنّم فـ{ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} وتعملون{ وَيَسْتَنبِئُونَكَ} أي وكانوا يسألونك عن أجله منكرين مستكبرين{ أَحَقٌّ} العذاب{ هُوَ} في الدنيا ويوم القيامة؟ فـ{ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ} أبدًا أين ما كنتم.

ثمّ أكّد تعالى أن لا عوض ولا بدل لعقوبتهم فقال:{ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ} وأساءت وكفرت وأشركت كل{ مَا فِى الأَرْضِ} من ثروات وكُنوز{

لاَفْتَدَتْ بِهِ} من عذاب ذلك اليوم{ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ} والحسرة بينهم{ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ} أمام أعينهم{ وَقُضِىَ} وحُكم{ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ} والعدل{ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} مثقال ذرة البتة{ أَلا} وليتيقنوا{ إِنَّ لِلّهِ} ملك{ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} أوّلًا و{ أَلاَ} وليعلموا{ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ} بالبعث والحساب ثانيًا{ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} ولا يؤمنون، فـ{ هُوَ} تعالى{ يُحْيِ} أقوامًا{ وَيُمِيتُ} أخرين، ويحي خلقًا ويميت آخرين{ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} فـ{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم} في القرآن العزيز{ مَّوْعِظَةٌ} وبَيِّنةٌ{ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِى الصُّدُورِ} من شكوك وظنون{ وَهُدًى} لما يجب فعله وتركه{ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ و{ قُلْ} للمؤمنين فـ{ بِفَضْلِ اللّهِ} تعالى{ وَبِرَحْمَتِهِ} أنزل إليكم الهدى والموعظة شفاءً لما في الصدور{ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ} بما فيه من الآيات فـ{ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} ويكنزون للدنيا.

الملخص: -

أكّد تعالى جزع الكافرين يوم القيامة، وعلم الساعة له وحده، حيث ولا ينفع إيمان ولا عوض، وليفرح المؤمنون بموعظةِ وهُدى القرآن العزيز.

(٥٩-٧٠) الاستنكار على تشريعات الكافرين وتَوَعُّدِهم، وتأكيد مُطلق عِلمُه ومُلكُه تعالى، والبشارة لأوليائه، وخسران المفترين.

قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَـذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ

إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

استنكر تعالى على تشريعات الكفرة والمشركين فقال:{ قُلْ} وقولوا{ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّه لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً} بهوى ورغبة أنفسكم{ قُلْ آللَّه أَذِنَ لَكُمْ} بتشريع ذلك فتُحلُّوا وتُحرِّموا{ أَمْ} أنتم{ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ} وتكذبون{ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ} من عقوبة{ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} لصدِّ الناس عن دين الله تعالى، فتمام عقوبتهم كما توعدهم تعالى في سورة هود بقوله:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾﴿٢٢﴾ فـ{ إِنَّ اللَّه لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ} بما رَزق وشرّع لهم فيه بيقين علمه، فهو تعالى الذي أعطى كل

شيءٍ خَلْقَهُ ثمّ هدى، ويعلم منافعه وضُرّه{ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ} نعمه وفضله.

ثمّ أشار تعالى إلى سابق علمه فقال:{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ} من شؤون الدنيا{ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ} مهما كان صغيرًا أو عظيمًا{ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً} نحصي أعمالكم{ إِذْ} ولحظة{ تُفِيضُونَ} وتشرعون{ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ} ولا يغيب{ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ} وهو{ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}.

ثمّ بشّر تعالى أوليائه فقال:{ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ} الموقنين المتقين{ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} في الدنيا{ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} في الآخرة، فهم{ الَّذِينَ آمَنُواْ} وصدَّقوا{ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} محارمه فأولئك{ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ} وعُهُودِه وَوُعُودِه و{ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} في الدارين، ثمّ طمئن تعالى رسوله والمؤمنين فقال:{ وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ} وكفرهم وشِركِهم وتشريعهم، ثمّ يجزم تعالى فيقول:{ إِنَّ الْعِزَّةَ} تمامها وكمالها{ لِلّهِ جَمِيعاً} بكل أشكالها، وهو تعالى الغالب في كل أسمائه وصفاته، وليس كمثله شي{ هُوَ السَّمِيعُ} لكل خلقه{ الْعَلِيمُ} بماضيهم

وحاضرهم ومستقبلهم، ثمّ جزم تعالى فقال:{ أَلا إِنَّ لِلّهِ} خلق وملك{ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ} وما فيهما وبينهما{ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء} ولكن الحقيقة{ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ} الذي لا أصل ولا حقيقة له{ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} ويفترون.

فـ{ هُوَ} تعالى{ الَّذِى} خلق و{ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ} وتستريحوا{ فِيهِ وَ} جعل وخلق{ النَّهَارَ مُبْصِراً} للعيون{ إِنَّ فِي ذَلِكَ} الإبداع والإتقان{ لآيَاتٍ} ودلائل وبراهين لعظيم قدرته وابداع خلقه{ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} ويفهمن ويعقلون، ثمّ عتب تعالى على أهل الكتاب فقال: و{ قَالُواْ اتَّخَذَ اللُّه وَلَداً} كقوله تعالى في سورة التوبة:{ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ...}﴿٣٠﴾ { سُبْحَانَهُ} تنزّه وتقدس وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، فـ{ هُوَ الْغَنِيُّ} عن كل خلقه والولد، و{ لَهُ} وحده مُلك{ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ} وما بينهما وما فيهما، ثمّ استنكر عليهم فقال:{ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ} وعلم وبرهان ودليل{ بِهَـذَا} الذي تدّعون، ثمّ استنكر عليهم ثانيةً فقال:{ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} ثمّ حذّرهم تعالى من الكذب والافتراء عليه وأكّد سننه فقال:{ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} في الدنيا والآخرة، وما تلك الادعاءات والأباطيل

إلّا{ مَتَاعٌ} المودة بينهم، ولتضليل أتباعهم، ولإعلاء شأنهم{ فِي الدُّنْيَا} ثمّ توعدهم تعالى فقال:{ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} يوم القيامة{ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} ويكذبون ويدعون ويُشرِّعون.

الملخص: -

استنكر تعالى تشريعات الكافرين وتَوَعَدَهم، وأكّد مُطلق عِلمَه تعالى ومُلكَه، وبشَّر أوليائه، وأنذر المفترين الكاذبين.

(٧١-٨٣) ضرب المثل لسننه تعالى في قوم نوح (ع‌س) ومن كفر، وإبطال جدلهم، وضرب المثل بموسى (ع‌س) وعقوبة فرعون وهزيمتهم.

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ

وَمَلَإِيهِ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا
قَالُواْ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ
هَـٰذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم
مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّه سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّه
لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّه الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ
﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَن
يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى:{ وَاتْلُ} أي وقُصّ{ عَلَيْهِمْ نَبَأَ} وخبر{ نُوحٍ} (ع‌س) وهو أوّل أولي العزم من الرسل{ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} متحديًا:{ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ} وعَظُمَ وشَقّ وثَقُل{ عَلَيْكُم مَّقَامِى} ودعوتي{ وَتَذْكِيرِى} ونصحي{ بِـَٔايَـٰتِ اللّهِ} وسننه وجزاءاته وعقوباته{ فَ} إني{ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ} واعتمدت وعولت{ فَأَجْمِعُواْ} أنتم{ أَمْرَكُمْ} مجتمعين وافعلوا ما بدى لكم{ وَ} كيد{ شُرَكَاءكُمْ} معكم، وما تظنون أنها فاعلة{ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ} وما تتوعدوني به{ عَلَيْكُمْ غُمَّةً} أي لا أسفًا ولا ندم{ ثُمَّ اقْضُواْ} ونفِّذوا{ إِلَىَّ}

كلّ عزمكم وكيدكم{ وَلاَ تُنظِرُونِ} ولا تُمهلون برهةً ولا لحظة{ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ} وتراجعتم عن عزمكم، وآمنتم{ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ} على نصحي وتذكيري{ إِنْ} أي فليس{ أَجْرِىَ} وثوابي وجزائي{ إِلاَّ عَلَى اللّهِ} تعالى{ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} المستسلمين لهديه تعالى وشرائعه في كل ما أمر تعالى ونهى{ فَكَذَّبُوهُ} وأعرضوا عن الإيمان والتصديق به، فمضت سننه تعالى{ فَنَجَّيْنَاهُ} تعالى{ وَمَن مَّعَهُ} من مؤمنين وحيوان{ فِى الْفُلْكِ} المشحون{ وَجَعَلْنَاهُمْ} جميعًا{ خَلاَئِفَ} لمن كان قبلكم، ويخلف بعضهم بعضًا{ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ} جميعًا{ بِـَايَـٰتِنَا} وأدلتنا وبراهيننا، ولم يبقى سوا المؤمنين، بخلاف ما هو شائع في التفاسير من أنّ نوح ونسله فقط كانوا باقين{ فَانظُرْ} وانظروا واعتبروا{ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ} الكافرين الجاحدين{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ} كقوله تعالى في سورة النساء:{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا}﴿١٦٤﴾ { فَجَآءُوهُم} أي أقوامهم{ بِالْبَيِّنَاتِ} والمعجزات والدلائل والحجج والبراهين{ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ} أبدًا{ بِمَا} أي بسبب ما{ كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ} من نصح ووعيد، فـ{ كَذَلِكَ نَطْبَعُ} ونختم الكفر{ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ} الجاحدين كقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴿٤٦﴾ { ثُمَّ بَعَثْنَا} وأرسلنا{ مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ} وكبار ووجهاء قومه{ بِـَٔايَـٰتِنَا} ومعجزاتنا وبراهيننا{ فَاسْتَكْبَرُواْ} وعاندوا واعرضوا{ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ} جاحدين مستعلين{ فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ} بالمعجزات كالعصى ونصاعة اليد{ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَـذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ} فاستنكر عليهم (ع‌س) و{ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا} الذي ترون بأعينكم، ثمّ أكَّد تعالى سننه فقال:{ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ} في الدنيا قبل الآخرة، ولو أفلحوا في الدنيا لأغنوا أنفسهم و{ قَالُواْ} مستهزئين{ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا} وتصدنا{ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} من عبادة{ وَ} لـ{ تَكُونَ لَكُمَا} أي لك ولأخيك هارون{ الْكِبْرِيَاء} والمكانة والوجاهة{ فِي الأَرْضِ} فتنازعوننا{ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ} ولا مصدقين حتى ولو كان ذلك لكما{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ} آمرًا مستكبرًا{ ائْتُونِي} واحضروا لي من المدائن{ بِكُلِّ سَاحِرٍ} عارفٍ{ عَلِيمٍ} مَكِين{ فَلَمَّا جَاء} كبار{ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ} كل{ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَواْ} سحروا أعين الناس واسترهبوهم، و{ قَالَ مُوسَى} (ع‌س) على يقين من ربّه{ مَا جِئْتُم بِهِ} من عَظِيم{ السِّحْرُ} فـ{ إِنَّ اللَّه سَيُبْطِلُهُ} ويُفسِدُه

ويَغلِبُه، ثم ذكرهم بسنن الله تعالى فقال:{ إِنَّ اللَّه} أبدًا{ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} في الدنيا والآخرة أوّلًا{ وَيُحِقُّ اللُّه الْحَقَّ} ثانيًا{ بِكَلِمَاتِهِ} ووعده لرسله{ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} الكافرون المستكبرون{ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ} قليلة{ مِّن قَوْمِهِ} أي من بني إسرائيل{ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ} ويبطش بهم ويعذِّبهم، بخلاف ما ورد في بعض التفاسير أنّه آمن لموسى من بني إسرائيل ستمائة (٦٠٠٠٠٠) ألف منهم، ثمّ أكّد تعالى ذلك قائلا:{ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ} متكبرٍ متجبرٍ{ فِي الأَرْضِ} أولًا، وثانيًا{ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} في عذاب المؤمنين بقتل أبنائهم وصلب من آمن من السحرة لمّا آمنوا.

الملخص: –

ضرب تعالى المثل لسننه التي أقامها في قوم نوح (ع‌س) ومن كفر، وأبطل جدلهم ومكرهم، وضرب المثل بموسى (ع‌س) وعقوبته لفرعون وهزيمتهم.

(٨٤-٩٣) وعظ موسى (عس) لقومه، وأمرهم اتخاذ بيوتهم قبلة، واستجابة دعوة موسى، وتمكين بني إسرائيل في الأرض، والتحذير من الاختلاف.

وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم

مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

أخبر تعالى عن شيءٍ من ماضي الغيب فقال:{ وَقَالَ مُوسَى} لقومه{ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم} وصدقتم{ بِاللّهِ} حقًا{ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ} وثِقوا واعتمدوا وارضوا بقضائه وقدره{ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} مستسلمين لأمره تعالى ونهيه ليوفيكم تعالى وُعُودِه، لقوله تعالى في سورة الطلاق:{... وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا}﴿٣﴾ { فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا} واعتمدنا ووثقنا ورضينا بقضائه تعالى وقدره، ثمّ دعوا ربهم قائلين:{ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا} محلّ{ فِتْنَةً} وابتلاء بعذاب{ لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أي لفرعون وملئِه الذين أذاقوهم سوء العذاب كما قال تعالى عنهم في سورة البقرة:{ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}﴿٤٩﴾ { وَنَجِّنَا} وخلصنا{ بِرَحْمَتِكَ مِنَ} تسخير ومهانة{ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} وجَورِهِم وسُوء صَنِيعِهم.

ثمّ قال تعالى:{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا} واتخذا{ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً} للعبادة{ وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} ومُصَلّى{ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ} في

أوقاتها{ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} بالنصر والفرج كقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ في الآخرة{ وَقَالَ مُوسَى} داعيًا ربه{ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ} وأنعمت على{ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ} ووجهاء قومه{ زِينَةً} ونِعمًا{ وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا} فجعلوها واستعانوا بها{ لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ} وهديك ودينك{ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ} وامحقها{ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ} أي واطبع عليها الكفر حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان كما ورد المعنى في تفسير الطبري{ فَ} أمثال هؤلاء{ لاَ يُؤْمِنُواْ} بك{ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} والهلاك العظيم في الدنيا، ف{ قَالَ} تعالى{ قَدْ أُجِيبَت} واستجيبت{ دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا} على هدي الله تعالى وشرعه{ وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ} وطريق ومنهج{ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} عن الله تعالى وكانوا عَمُون.

ثمّ بيّن تعالى نعمته على بني إسرائيل فقال:{ وَجَاوَزْنَا} وعَبَرنا{ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ} يبسًا لا يخافون دركًا ولا حُزنا{ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ} بعزيمة وقوّة دون تردد رغم هول المعجزة{ بَغْياً وَعَدْواً} أي ببغيٍ وعدوانية{ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ} وأحاط به{ الْغَرَقُ} والهلاك{ قَالَ آمَنتُ} الآن وصدقت حقًا{ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}

المستسلمين، حيث لا ينفع إيمان لقوله تعالى في سورة الأنعام:{... يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ...}﴿١٥٨﴾ فوبخه تعالى وقال:{ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} العالين المستكبرين المعرضين{ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ} فلا يَبلى، و{ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ} ومن يأتي من بعدك{ آيَةً} ودليلًا وبرهان على صدق وعدنا وسننا وجزاءاتنا في الدنيا قبل الآخرة، ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ} على مر العصور{ عَنْ آيَاتِنَا} وعبرنا ووعظنا{ لَغَافِلُونَ} معرضون مستكبرون{ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا} ومنحنا لـ{ بَنِي إِسْرَائِيلَ} في الأرض المقدسة{ مُبَوَّأَ} ومنزل{ صِدْقٍ} وعزٍ وثبات{ وَرَزَقْنَاهُم} فيها{ مِّنَ} كثير من{ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ} وبغوا على بعضهم{ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ} وتخاصموا فيه، وفي هذه الآية تحذير لهذه الأمة من الاختلاف لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿١٠٥﴾ فـ{ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي} ويحكم{ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}.

الملخص: –

وعظ موسى قومه، وأمر تعالى بني إسرائيل جعل بيوتهم قبلة، واستجاب لدعاء موسى، ومكَّن لبني إسرائيل من الأرض، وحذّر من الاختلاف.

(٩٤-١٠٠) تأكيد صدق ما أُوحي للرسول ﷺ وللمؤمنين، وأنّه لا أحد يؤمن إلا بإذنه تعالى، وأنّ سننه تعالى مضت في الأمم ألّا قوم يونس (ع‌س).

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأيَاتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله تعالى:{ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ} كقوله تعالى في سورة الزخرف:{ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ}﴿٨١﴾ وحيث أنّه من

المحال أن يكون لله تعالى ولد، فمن المحال أن يكون الرسول ﷺ في أدنى شك فيما أُنزل إليه، وقال الألوسي في تفسيره:" ذلك على سبيل الفرض والتقدير، لأن الشك لا يتصور منه ﷺ.

فما كان ولم يكن الرسول ﷺ قط في شك من ربِّه، وما يوحى إليه، فهو تعالى الذي رعاه قبل أن يكون علقة في بطن أمّه، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) أن رسول الله ﷺ قال:" بُعِثتُ من خير قُرُون بني آدم، قرنًا فقرنا، حتى كُنتُ من القرن الذي كُنتُ فيه"، ومعنى" قرنا فقرنا" أي نُقِّيتُ من القرون وأفضلها قرنا بعد قرن، كما ورد في تفسير الحديث.

وهو ﷺ على علم بربه حيث كان يتعبد في غار حراء لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد -وهو التعبد- قبل أن يَنزِعَ إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءَهُ الحق وهو في غار حراء، فجاءه المَلَك فقال: اقرأ، قال:" ما أنا بقارئ"، قال:" فأخذني فغطني حتى بلغ منِّي الجَهْد، ثم أرسلني فقال: اقرأ،

قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم} فرجع بها رسول الله ﷺ يَرجِفُ فؤادُه، فدخل على خديجة بنت خويلد– رضي الله عنها– فقال:" زملوني زملوني"، فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر:" لقد خشيت على نفسي"، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتَكسِب المعدوم، وتُقرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأٌ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرا قد عَمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أَنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يُخرِجُك قومُك، فقال رسول الله ﷺ: أو مُخرِجِيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم يَنشَب ورقة أن توفي، وفتر الوحي.

والخطاب للرسول ﷺ هو خطاب لأمته فقال تعالى:{ فَاسْأَلِ} واسألوا إن كنتم في شك{ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ} ومن قبلكم، ثمّ أكّد تعالى جازمًا فقال:{ لَقَدْ جَاءكَ} وجاءكم{ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ} ومن ربكم{ فَلاَ تَكُونَنَّ} ولا تكونوا{ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} الشاكين فيما أوحي إليكم{ وَلاَ تَكُونَنَّ} ولا تكونوا{ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ} ومعجزاته ودلائله وبراهينه{ فَتَكُونَ} وتكونوا{ مِنَ الْخَاسِرِينَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا} قاسية في الدنيا{ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ في الآخرة، ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ} ووعد وعهد{ رَبِّكَ} بسبب كفرهم وعنادهم وعصيانهم{ لاَ يُؤْمِنُونَ} أبدًا{ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ} ودليل ومعجزة وبرهان{ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} في الدنيا قبل الآخرة كفرعون.

ثمّ قال تعالى:{ فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ} من القرى التي أهلكناها{ آمَنَتْ} قبل نزول العذاب{ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ} نفعها إيمانها{ لَمَّا آمَنُواْ} قبل نزول العذاب، فـ{ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} ثمّ قال تعالى:{ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ} وربكم{ لأمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً} كالملائكة{ أَفَأَنتَ} وأنتم{ تُكْرِهُ} وتُكرِهُون{ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ

مُؤْمِنِينَ} ولكن اقتضت سُنَنَهُ تعالى التمحيص ليتميّز الصادقين عن الكاذبين لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ}۝٣ فيسعَد المؤمنون ويَشقي المعرضون لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}۝١٢٤.

ثمّ أكد تعالى سننه فقال:{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ} ولن يكون{ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ} ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته وأمره، لعلمه تعالى حقيقة ما في القلوب{ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ} والإثم والعذاب{ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} ويكابرون ويعصون ويعرضون.

الملخص: –

أكّد تعالى صدق ما أوحاه للرسول ﷺ وللمؤمنين، وأنّه لا أحد يؤمن إلا بإذنه تعالى، وأنّ سننه تعالى مضت في الأمم ألّا قوم يونس (ع‌س) لمّا آمنوا.

(١٠١-١٠٩) الأمر بالنظر في آيات الكون، والتحذير من سننه تعالى، والأمر بالإيمان، وتأكيد أنّ الخير والشر بيده تعالى، والأمر باتباع هديه.

قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

يرشد تعالى فيقول:{ قُلِ} وقولوا للناس{ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} من خلائق من مجرّات وكواكب ونُجوم وشُهب، وسحاب وجبال وأنهار وأشجار، وخليةٍ وذرةٍ في إنسان وحيوان ونبات وجماد، فأعطى تعالى كل شيء خَلْقَهُ وصُورتَه وخواصّه، ثم هده ليقوم بوظيفته على أحسن وجه، ولا يكون شيئًا فيهما إلّا بأمره ومشيئته وإذنه، لتستدلوا على عظمة ربكم وابداعه وإتقانه، ولذلك أمر تعالى بالنظر في كيف بدأ الخلق في قوله تعالى في سورة العنكبوت:{ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}﴿٢٠﴾ ثمّ أكّد تعالى أنّ كل ذلك لا يجدي للمعرضين المستكبرين فقال:{ وَمَا} عسى أن{ تُغْنِي الأيَاتُ} والحُجج والدلائل والبراهين{ وَالنُّذُرُ} عبر التاريخ بما حلّ بالأمم الجاحدة المنكرة{ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ} بالله تعالى وعظمته وتدبير خلقه{ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ} بعد ذلك{ إِلاَّ} أن ينزِل بهم ويحل عليهم{ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ} وبادوا{ مِن قَبْلِهِمْ} كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ

رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾١٤ فـ{ قُلْ} وقولوا لهم{ فَانتَظِرُواْ} جزاءاته تعالى وسننه{ إِنِّي} وإنّا{ مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ} ثمّ أكّد تعالى نجاة المؤمنين من ذلك فقال:{ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ} معهم و{ كَذَلِكَ حَقّاً} وواجبًا{ عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ} من المهالك.

ثمّ قال تعالى:{ قُلْ} وقولوا{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن} ما أوحي إلي من شرائع وأحكام{ دِينِى} وهدي ربي{ فَلاَ أَعْبُدُ} ولا أطيع ولا أنقاد لـ{ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ} من أوثان وطواغيت الإنس والجن{ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ} وأطيع وأمتثل لهدي{ اللَّه الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ} في الأجل المسمى عنده{ وَأُمِرْتُ} من ربّي{ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} المستسلمين لأمره تعالى ونهيه{ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ} والتزم بقوة{ لِ} شرائع وأحكام ا{ لدِّينِ حَنِيفاً} غير ذي عوج{ وَلاَ تَكُونَنَّ} ولا تكونوا{ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} بالله شيئًا{ وَلاَ تَدْعُ} ولا تدعون شيئًا{ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ} ولا ينفعكم{ وَلاَ يَضُرُّكَ} ولا يضركم{ فَإِن فَعَلْتَ} وفعلوا من ذلك من شيء{ فَإِنَّكَ} وإنّكم{ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ} لله تعالى ولأنفسكم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى} وديني وهديّ وشرعي وحكمي{ فَإِنَّ

لَهُۥ مَعِيشَةَ} في الدنيا{ ضَنكًا} قاسية شديدة غير مرضية{ وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ ذكر تعالى حقيقةً أخرى فقال:{ وَإِن يَمۡسَسۡكَ} أو يَمسَسكم{ اللَّه بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ} سبحانه{ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ} لرزقه وأمره و{ لِفَضۡلِهِۦ} ، فـ{ يُصِيبُ بِهِۦ} تعالى{ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ} بعلمه وعدله وحكمته وما ربك بظلام للعبيد{ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ} للمستغفرين{ ٱلرَّحِيمُ} بعباده يرزق مؤمنهم وكافرهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة، و{ قُلۡ} وقولوا{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ} الدين{ ٱلۡحَقُّ} المهيمن على كل دين لتحتكموا إليه لقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ...}﴿٤٨﴾ والذي هو{ مِن رَّبِّكُمۡ} وخالقكم وفاطركم{ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ} وآمن وصدق والتزم{ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِ} مصلحة{ نَفۡسِهِۦ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ} في الدنيا{ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿٩٧﴾ في الآخرة{ وَمَن ضَلَّ} بكفره وعناده{ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا} وعن مصلحة نفسه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة

آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ}﴿٥٦﴾ { وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم} وعلى إيمانكم وهدايتكم{ بِوَكِيلٍ} ولا مسؤول{ وَاتَّبِعْ} واتبعوا{ مَا يُوحَى إِلَيْكَ} وإليكم{ وَاصْبِرْ} واصبروا{ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللَّه} في خلقه{ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}.

الملخص: -

أمر تعالى بالنظر في آيات الكون، وحذّرَ من سننه، وأمر بالإيمان وعدم الشرك، وأكّد تعالى أنّ له الخير والشر، وأمر باتباع هديه تعالى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة هود ترتيبها (١١) آياتها (١٢٣)

(١-١١) القسم بأن القرآن محكم، ودعوة الناس للإيمان تأكيد خلقه تعالى للسماوات والأرض وبيان جدل الكفار وتقلباتهم وثبات المؤمنين.

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا

رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

يقسم تعالى بثلاثة حروف من اللغة لما للحروف من أهمية في كتابة كافّة العلوم فيقول:{ الٓرۚ} وجواب القسم أنّ القرآن{ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ} أُتقنت وأجيدت وأحسنت{ ءَايَٰتُهُۥ} وحججه وبراهينه وأدلته{ ثُمَّ فُصِّلَتْ} وبُينت وشرحت{ مِن لَّدُنْ} ومن عند{ حَكِيمٍ} فيما يشرع{ خَبِيرٍ} بخلقه، آمرًا لهم{ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَۚ} فـ{ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ} تعالى{ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} في الدنيا الآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثانيًا{ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ} من ذنوبكم وشرككم وكفركم{ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ} بترك المعاصي والكفر والشرك لـ{ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} في الدنيا{ وَيُؤْتِ} ويُجزي بالإحسان{ كُلَّ ذِى فَضْلٍ} من عِلمٍ أو مالٍ أو جهدٍ في سبيله تعالى، فيؤتيه{ فَضْلَهُۥۖ} وجزاء عمله في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{... لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ}﴿٣٠﴾.

ثمّ حذّر تعالى فقال:{ وَإِن تَوَلَّوۡاْ} وأعرضوا وعصوا واستكبروا{ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ} في الآخرة فـ{ إِلَى ٱللَّهِ} حقًا وجزمًا{ مَرۡجِعُكُمۡۖ} وبَعثكم{ وَهُوَ} تعالى{ عَلَىٰ} فِعل{ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ} في السماوات وفي الأرض، ثمّ فضح تعالى بعض حِيل الكافرين فقال:{ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ} وعن حُكمِه وشرعه، فليعلموا{ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ} ليتصددوا عنه{ يَعۡلَمُ} تعالى حقيقة{ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ} فـ{ إِنَّهُۥ} تعالى حقًا{ عَلِيمُۢ بِذَاتِ} وحقيقة ما في{ ٱلصُّدُورِ}.

ثمّ بيّن تعالى تكفُّله برزق خلقه فقال:{ وَمَا مِن دَآبَّةٖ} تدب وتسير{ فِي ٱلۡأَرۡضِ} من إنس وجن وحيوان صَغُر أو كَبُر{ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ} ضمان{ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا} وفِعلِها وأحوالها{ وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ} ومأواها ومكان وفاتها، فـ{ كُلّٞ} من ذلك مَسطُور{ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ} لقوله تعالى في سورة الانفطار:{ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ}١٢.

ثمّ فصّل تعالى خلق السماوات والأرض فقال:{ وَهُوَ} تعالى{ ٱلَّذِي خَلَقَ} وأوجد{ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ} من أيّامه، ويومه تعالى كألف سنةٍ من أيّام الأرض لقوله تعالى في سورة الحج:{... وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ}٤٧ أي فخلقهما في ستة آلاف سنة من سِنِيّ

الأرض{ وَكَانَ عَرْشُهُۥ} وكُرسِيُه وقوام أمرِه{ عَلَى ٱلْمَآءِ} كما وردت المعاني في القاموس المحيط، كقوله تعالى في سورة البقرة:{... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...}﴿٢٥٥﴾ ثمّ بيّن تعالى الغاية من ذلك فقال:{ لِيَبْلُوَكُمْ} ويختبركم{ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ} وأجود وأفضل{ عَمَلًا} وليُميِّز الصادقين عن الكاذبين، وليكشف حقيقة المسيئين لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴿٤﴾ ثمّ فضح تعالى الكافرين فقال تعالى:{ وَلَئِن قُلْتَ} أو قلتم{ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ} للحساب والجزاء{ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ} إن كان حقًا{ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} جليٌ واضح{ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ} إمهالًا ليتوبوا لا إهمالًا{ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ} وأجل قريب{ لَّيَقُولُنَّ} ساخرين مستهزئن{ مَا يَحْبِسُهُۥٓ} أي ما يحبس العذاب عنا وقد كفرنا؟ كقولهم في سورة المجادلة:{... لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ...}﴿٨﴾ فيؤكِّد تعالى ويقول:{ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ} العذاب في الدنيا أو الآخرة{ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ} أبدًا{ وَحَاقَ} وحلَّ{ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ} ويسخرون{ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً}

ونعمةً{ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا} وسلبناها{ مِنۡهُ} بسبب جحوده أو امتحانًا{ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ} لنِعم الله{ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ} ورحمة من{ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ} وحلّت به{ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ} شرَّ{ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ} فـ{ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ} ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} ثابتين متيقنين فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ} لذنوبهم{ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ} في الآخرة.

الملخص: -

أقسم تعالى بأن القرآن محكم، ودعا الناس للإيمان، وأكَّد تعالى خلقه للسماوات والأرض، وبيّن كثرة جدل الكفّار وثبات المؤمنين.

(١٢-٢٤) الأمر بالإعراض عن جدل الكفَّار، وتحديهم أن يأتوا بمثل القرآن، وتأكيد وحيه منه تعالى، والتحذير من الكذب على الله، وبيان جزاء المؤمنين.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـئِكَ
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الأخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ
مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ
مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ
وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالأخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾
أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء
يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾
أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِي الأخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى
رَبِّهِمْ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى
وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

أمر تعالى بالإعراض عن جدل الكفّار قائلا:{ فَلَعَلَّكَ} وعساك{ تَارِكٌ بَعْضَ} وشيئًا مـ{ مَا يُوحَى إِلَيْكَ} من ربك{ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} مخافة{

أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ} ليكون ذا مكانة ووجاهة لنتبعه{ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ} يصدقه لنؤمن به، فقال تعالى:{ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ} كبقية الرُّسل، لتنذرهم من مغبة الكفر كقوله تعالى في سورة آل عمران:{ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ}﴿١٣٧﴾ { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} في السماوات والأرض{ وَكِيلٌ} وكفيل ورقيب ومحيط{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} وتقوَّله فـ{ قُلْ} وقولوا:{ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} كما زعمتم{ وَادْعُواْ} مستعينين بـ{ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن} آلهة وإنس وجنّ من{ دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ} حقًا{ صَادِقِينَ} بافترائه{ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ} ولن يستجيبوا{ فَاعْلَمُواْ} يقينًا{ أَنَّمَا أُنزِلَ} القرآن{ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} مستسلمون لشرعه وحكمه وقضائه.

ثمّ بيّن تعالى حقيقةً فقال:{ مَن كَانَ} من الناس{ يُرِيدُ} متاع{ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا} بإحسانه وبره فسـ{ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ} ثواب{ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا} قبل مماتهم{ وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ} ولا يظلمون، فـ{ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الأخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ} وذهب جزاء{ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ} وفاسد{ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} للدنيا.

ثمّ قال تعالى:{ أَفَمَن كَانَ} كمحمد ﷺ{ عَلَى بَيِّنَةٍ} من القرآن العزيز و{ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ} ويؤيده ويشهد له{ شَاهِدٌ مِّنْهُ} كجبريل (ع س){ وَمِن قَبْلِهِ} ﷺ التوراة{ كِتَابُ مُوسَى} تؤيده وتصدقه، وكانت{ إِمَاماً} لبني إسرائيل{ وَرَحْمَةً} فـ{ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} ﷺ لمعرفتهم ﷺ كما يعرفون أبنائهم{ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ} ﷺ{ مِنَ الأَحْزَابِ} أي من أهل الكتاب والأمم{ فَالنَّارُ} جزاءه و{ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ} ولا تكونوا{ فِي مِرْيَةٍ} وشك{ مِّنْهُ} فـ{ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} ولما ورد في صحيح الإمام مسلم أبي هريرة (رلع) عن رسول الله ﷺ أنه قال:" والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

ثمّ شنّع تعالى الكذب عليه عمومًا، وخصّ أهل الكتاب لقولهم في سورة: البقرة{ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ...}﴿١١١﴾ فقال:{ وَمَنْ أَظْلَمُ} وأعظم جرمًا{ مِمَّنِ افْتَرَى} وتقوّل{ عَلَى اللّهِ كَذِباً} فـ{ أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ} يوم القيامة{ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ} من الملائكة{ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ} وسخطه وغضبه{ عَلَى الظَّالِمِينَ} فهم{ الَّذِينَ يَصُدُّونَ} الناس ومن على مِلَّتِهم{ عَن سَبِيلِ اللّهِ}

المنزل على رسوله ﷺ{ وَيَبْغُونَهَا} سبيلًا{ عِوَجاً} عن سبيله تعالى{ وَهُم بِالأخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} فـ{ أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ} الله تعالى{ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء} ينصرونهم، و{ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ} في الآخرة{ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ} ليؤمنوا بسبب كذبهم{ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ} الحق لكفرهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ}۝٧ فـ{ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ} مصلحة{ أَنفُسَهُمْ} في الدنيا والأَخرة{ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} ويكذبون فـ{ لاَ جَرَمَ} ولا ظلم لهم بـ{ أَنَّهُمْ فِي الأخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ}.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ} وصدقوا{ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} كما أمروا{ وَأَخْبَتُواْ} وتواضعوا وتذللوا واستكانوا{ إِلَى رَبِّهِمْ} فـ{ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ} ونزلائها{ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} فـ{ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ} الكاذب والمؤمن{ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} فهم لا يستوون لقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴿٢١﴾.

الملخص: -

أمر تعالى بالإعراض عن مقول الكفَّار، وتحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، وأكّد وحيه منه تعالى، وحذَّر تعالى من الكذب عليه، وبيّن جزاء المؤمنين.

(٢٥-٣٥) ضرب المثل لجدل وتكذيب قوم نوح، والتبرؤ من عبادة المشركين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ

عِندِى خَزَآئِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّه خَيْراً اللَّه أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنفُسِهِمْ إِنِّى إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّه إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّه يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَاْ بَرِىءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

من ماضي الغيب ضرب الله تعالى المثل لتكذيب قوم نوح (ع‌س) وجدلهم فقال:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً} وهو أوّل أولي العزم من الرسل الخمسة (ع‌س) والذين ذكرهم الله تعالى في قوله في سورة الأحزاب:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ...}﴿٧﴾ فنوح (ع‌س) بُعِثَ{ إِلَى قَوْمِهِ} وما أرسل تعالى رسولًا إلّا بلسانهم لقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...}﴿٤﴾ فقال لهم:{ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ} من رب العالمين{ مُّبِينٌ} أي لأبيّن هداه وشرائعه وحلاله وحرامه، و{ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّه} الذي أعطى كلّ شيءٍ خَلْقَهُ ثم هداه ليقوم بوظيفته في الكون، ولا يكون شيئًا في مُلكه إلّا

بإذنه وأمره ومشيئته، فأعرضوا مكذِّبين بقولهم في سورة نوح (ع‌س):{ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}﴿٢٣﴾ فقال لهم:{ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} في الدنيا قبل الآخرة{ فَقَالَ الْمَلأُ} وكبارهم وأشرافهم{ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً} ورجلًا{ مِّثْلَنَا} لا تفضلنا بشيء{ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ} وآمن بك{ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا} وأقلُّنا قدرًا ومكانةً{ بَادِيَ} وساذجي{ الرَّأْيِ} والفكر{ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ} ولا وجاهة ولا تَميُّز{ بَلْ نَظُنُّكُمْ} حقًا{ كَاذِبِينَ} فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ} وهدًى وصراط مستقيم{ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي} دينًا وشرعًا{ رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ} لا ضلال بعده{ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} أي فأعماها تعالى عليكم لكفركم تصديقًا لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾ وقال:{ أَنُلْزِمُكُمُوهَا} ونُجبِرُكُم بشرائعها وأحكامها{ وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} مبغضون{ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} وعلى نُصحي وهدايتي{ مَالاً} وأجرًا أتقاضاه فـ{ إِنْ أَجْرِيَ} ومكافئتي وثوابي{ إِلاَّ عَلَى اللّهِ} في الدنيا والآخرة{ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ} ولا مستبعد ولا مُقصِي{ الَّذِينَ آمَنُواْ} كما

أشرتم فـ{ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ} يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم{ وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ} كلَّ ذلك وتعتدون.

ثمّ قال:{ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِى} ويُجيروني{ مِنَ} عذاب{ اللّهِ} وغضبه وعقوبته في الدنيا والآخرة{ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} وتعقلون وتتفكرون{ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ} ولا أعِدُكُم بأنّ{ عِندِى خَزَآئِنُ اللّهِ} وفضله فأمنحها لكم{ وَلاَ أَعْلَمُ} مستقبل{ الْغَيْبَ} وما الله فاعلٌ بكم إن كفرتم{ وَلاَ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ} بل أنا بشر مثلكم{ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ} آمنوا و{ تَزْدَرِى} وتحتقر{ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللُّه خَيْراً} في الدنيا والآخرة فـ{ اللُّه أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنفُسِهِمْ} وحقيقة ما في صدورهم، فإن فعلت شيئًا من ذلك فـ{ إِنِّى إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ} الجائرين المعتدين.

فـ{ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا} وأطلت{ فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا} وحوارنا{ فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا} جزاء كفرنا{ إِن كُنتَ} حقًا{ مِنَ الصَّادِقِينَ} برسالتك فـ{ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللُّه إِن شَاء} ومتى شاء بعدله وحكمته{ وَمَا أَنتُم} أبدًا{ بِمُعْجِزِينَ}هُ تعالى{ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِى} وإرشادي وهدي وشفقتي{ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللُّه يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ} ويُضِلَّكم لعنادكم واستكباركم فـ{ هُوَ} تعالى{ رَبُّكُمْ} وبارئكم وخالقكم{ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يوم

القيامة فيحاسبكم ويجازيكم على ما كنتم تعملون، ثم وجَّه تعالى خطابه لرسوله ﷺ فقال:{ أَمْ يَقُولُونَ} أي الذين كفروا، بعد هذا القصص{ افْتَرَاهُ} وتقوَّله كذبًا وادَّعاه من تلقاء نفسه ف{ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ} إثم ووزرُ وذنب{ إِجْرَامِي} في الدنيا قبل الآخرة، فكل نفس بما كسبت رهينة ومسؤولة{ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ} وتعبدون وتشركون وتدَّعون.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لجدل وتكذيب قوم نوح، وأمر بالتبرؤ مما يعبدون.

(٣٦-٤٩) أمر نوح (ع‌س) بِصِنع السفينة وتوعد من كفر، ونجاة من آمن، وتأكيد أنّ القرابة بالدين لا بالنسب.

وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ

آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سئاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

لمّا أصرَّ قوم نوح على الكفر، وأيس منهم بعد تسعمائة وخمسون سنة كما قال تعالى في سورة العنكبوت:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ

فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ...}١٤ قطع تعالى رجاء نوح (ع‌س) من إيمان قومه فقال:{ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلاَّ مَن قَدۡ آمَنَ فَلاَ تَبۡتَئِسۡ} ولا تحزم{ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ} ويشركون{ وَاصۡنَعِ الۡفُلۡكَ} أي السفينة{ بِأَعۡيُنِنَا} وعِلمنا{ وَوَحۡيِنَا} وإرشادنا، لعلمه تعالى ما ستلاقيه السفينة من شدّة لقوله تعالى في سورة هود:{ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ ...}٤٢ فهيأ تعالى صناعة السفينة لتلك الأمواج، من سننه تعالى تعليم المتقين لقوله تعالى في سورة البقرة:{... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ}٢٨٢ ثمّ قال تعالى:{ وَلاَ تُخَاطِبۡنِي} أي ولا تشفع لأحد{ فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ} بشركهم وكفرهم فـ{ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ} لا محالة.

ولم يكتفي قوم نوح بكفرهم بل تمادوا في السخرية كما قال تعالى:{ وَيَصۡنَعُ الۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلأٌ مِّن قَوۡمِهِ سَخِرُواْ} واستهزئوا{ مِنۡهُ} فـ{ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا} الآن{ فَإِنَّا} سـ{ نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ} وتَهزَؤُون{ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ} في الدنيا{ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ} لا ينقطع في الآخرة{ حَتَّى إِذَا جَاء أَمۡرُنَا} ووعدنا{ وَفَارَ} وفاض{ التَّنُّورُ} بالماء{ قُلۡنَا احۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ} من حيوان{ اثۡنَيۡنِ} ذكر وأنثى{ وَأَهۡلَكَ} ثمّ استثنى وقال:{ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ الۡقَوۡلُ} والعلم بكفره{

وَمَنْ آمَنَ} أي واحمل من آمن{ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ} من قومه{ وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ} هو{ مَجْرَاهَا} ومُوَجِّهُها{ وَمُرْسَاهَا} أين يشاء فـ{ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ} لذنوب عباده{ رَّحِيمٌ} لا يعاجلهم بالعقوبة.

ثمّ أشار تعالى إلى عناد أبنه فقال:{ وَهِيَ تَجْرِى} في البحر{ بِهِمْ فِي مَوْجٍ} عظيم{ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ} بعيدٍ عن قومه{ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا} لتنجوا{ وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ} المُغرقين{ قَالَ سَئاوِى} لاجئً{ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي} ويحميني{ مِنَ الْمَاء} فـ{ قَالَ لاَ عَاصِمَ} ولا مُجِير{ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ} ومراده{ إِلاَّ مَن رَّحِمَ} تعالى بسابق علمه وعدله{ وَحَالَ} وفرّق{ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ} بأمره تعالى{ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} الهالكين{ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ} الطاغي على الأرض لقوله تعالى في سورة الحاقّة:{ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ}﴿١١﴾ { وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي} من السحاب{ وَغِيضَ الْمَاء} وانزوى وانحسر الماء من حيث أتى{ وَقُضِيَ الأَمْرُ} بهلاك قومه{ وَاسْتَوَتْ} ورَسَت{ عَلَى} جبل{ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً} وسحقًا وهلاكًا{ لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الكافرين، وفي الآية إشارة إلى النيزك الذي سقط على جزيرة يوكاتان من المكسيك والذي يقدر قطره بأكبر من مائة وثمانون (١٨٠) كيلومتر، وأحدث موجة تقدر بارتفاع ألف وخمسمائة

(١٥٠٠) متر تقريبا، وأدى إلى انقراض نصف أشكال الحياة القديمة كالديناصورات وغيرها، وعند ارتطامه بالأرض تطايرت مليارات من الأطنان من الصخور المحترقة نتيجة احتكاكها مع الهواء كما ورد في الموسوعة الحرة.

ويستنتج من ذلك أنه نشأت سُحبٌ عظيمة جدًا أدت إلى نزول أمطار غزيرة على الأرض لقوله تعالى في سورة القمر:{ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ}﴿١١﴾ والتي أدت مع موجة البحر إلى طمس معظم معالم الحياة التي كانت على الأرض، وبقي نوح(ع‌س) ومن معه من المؤمنين، وهم الذين صاروا أُممًا لقوله تعالى في سورة هود:{ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ}﴿٤٨﴾ ولقوله تعالى في سورة يونس:{ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ}﴿٧٣﴾ ولأولئك المؤمنين ينتمي إبراهيم (ع‌س) وليس لنوح (ع‌س) لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ

إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴿٣﴾ لا كما قال كثير من المفسرين بأنه لم يبقى سوى ذرية نوح(عس).

{ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} فالعبرة بقرابة الدين لا بالنسب{ إِنَّهُ} كُفرٌ و{ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ} ولا تطلب{ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ} وأذكرك لـ{ أَن} لا{ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} فـ{ قَالَ} مستغفرًا{ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ} فـ{ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ} مؤمنةٍ{ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ} كافرة فـ{ سَنُمَتِّعُهُمْ} في الدنيا{ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدارين، وفي الآية إشارة إلى تكاثر نسل من كان معه، خلافًا لما ذُكِرَ في بعض التفاسير من انقطاع نسلهم{ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء} وأخبار{ الْغَيْبِ نُوحِيهَا} ونُبيّنها{ إِلَيْكَ} ولأمتك{ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا} القرآن{ فَاصْبِرْ} واصبروا فـ{ إِنَّ الْعَاقِبَةَ} الحسنة{ لِلْمُتَّقِينَ} في الدارين.

الملخص: -

أُمِر نوح (ع‌س) بصنع السفينة ونجّاه تعالى ومن آمن، وأهلك الكافرين، وأَكَّد قرابة الدين ونَفى النَّسب.

(٥٠-٦٠) ضرب المثل لتكذيب وجدل قوم هود (ع‌س) ونجاة من آمن، وهلاك من كفر.

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّه مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِى آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّى عَلَىَ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِئَايَـتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ

فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

أشار تعالى إلى مثل آخر من ماضي الغيب لتكذيب وجدل قوم هود (عس) فقال:{ وَإِلَى عَادٍ} أرسلنا{ أَخَاهُمْ} للسانهم لا لنسبهم{ هُوداً} فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّه} وحده فـ{ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ} خالقٍ رازقٍ{ غَيْرُهُ} و{ إِنْ أَنتُمْ} بشرككم وعبادة أوثانكم{ إِلاَّ مُفْتَرُونَ} كاذبُون و{ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} وعلى هدايتي ونُصحي وإرشادي{ أَجْراً} أتقاضاه منكم{ إِنْ أَجْرِىَ} وثوابي في الدنيا والآخرة{ إِلاَّ عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى} وخلقني، وأعطى كل شيء في السماوات والأرض خَلْقَهُ وصورته وخواصّه ثمّ هداه ليقوم بوظيفته{ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} وتدركون عظمة ربكم{ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ} من شرككم وعبادة أوثانكم{ ثُمَّ تُوبُواْ} وارجعوا{ إِلَيْهِ} طائعين عابدين مستسلمين لـ{ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم} مطرًا غدقًا{ مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ} معرضين{ مُجْرِمِينَ} ظالمين كافرين{ قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا} لنؤمن بك{ بِبَيِّنَةٍ} ولا معجزة ولا برهان{ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِى آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ} ونُصحِك وإرشادِك ولو جئتنا ببينة{ وَمَا نَحْنُ لَكَ} أبدًا{ بِمُؤْمِنِينَ} ولا مصدقين{ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ} وأصابك{ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} وضُر، فتقولت على الله

كذبًا{ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} وتعبدون{ مِن دُونِهِ} تعالى، ثمّ تحداهم فقال{ فَكِيدُونِي} وامكروا بي{ جَمِيعاً} بما شئتم{ ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ} ولا تُمهِلُون فـ{ إِنِّي تَوَكَّلْتُ} ولَجأت واعتمدت{ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم} فـ{ مَّا مِن دَآبَّةٍ} في الأرض ولا في السماء{ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} وأَمرِها وزِمامِها، وهي في أمره وتحت سلطانه، ثمّ أكّد وقال:{ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ} وهدٍي وطريقٍ{ مُّسْتَقِيمٍ} لا ضلال فيه ولا عِوج{ فَإِن تَوَلَّوْاْ} وأعرضوا عنادًا واستكبارًا{ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم} ودعوتكم إلى{ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ} إن كفرتم فيهلككم، وما أنتم بمعجزين{ وَلاَ تَضُرُّونَهُ} تعالى{ شَيْئاً} أبدًا وقطعًا فـ{ إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ} ووكيل ورقيب ومحيط.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا} ووعدنا بعذابهم{ نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} وكذلك ننجي المؤمنين{ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ} وكفروا{ بِأيَاتِ} وبراهين ودلائل ومعجزات{ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ} فالكفر برسول واحد كالكفر بجميع الرسل{ وَاتَّبَعُواْ} وأَطاعوا{ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ} طاغٍ{ عَنِيدٍ} غليظ{ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} وأهلكوا، فكانوا كالرميم كما قال تعالى في سورة الذاريات:{ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴿٤٢﴾ { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} لهم خزيٌ وعذابٌ شديد{ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ} وجحدوا{ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً} وسحقًا وتبًا{ لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ}.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لتكذيب وجدل قوم هود (ع‌س) فنجّاه تعالى ومن آمن، وأهلك الكافرين.

(٦١-٦٨) التذكير بتكذيب قوم صالح (ع‌س) وتحذّيرهم مساس الناقة بسوء، فعقروها فأخذتهم الصيحة، ونجّا تعالى صالحًا (ع‌س) ومن آمن من قومه.

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّه مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ

تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

ذَكَّرَ تعالى بتكذيب قوم صالح (ع‌س) واستكبارهم فقال:{ وَإِلَى ثَمُودَ} أرسلنا إليهم{ أَخَاهُمْ} للغتهم{ صَالِحاً} (ع‌س)، وما يُرسِل تعالى رسولًا إلّا بلسان قومه ليَهديهِم ويُرشدُهم لقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...}﴿٤﴾ فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّه} وحده فـ{ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ} خالقٍ رازقٍ، يحي ويميت{ غَيْرُهُ} فـ{ هُوَ} تعالى{ أَنشَأَكُم} وأوجدكم{ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ} أي استبقاكم{ فِيهَا} لِتَعمُرُوها، كقوله تعالى في سورة الأعراف:{... وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}﴿٧٤﴾ { فَاسْتَغْفِرُوهُ} من شرككم وعبادة أوثانكم{ ثُمَّ تُوبُواْ} راجعين{ إِلَيْهِ} نادِمِين مُستسلِمِين طائعين، فـ{ إِنَّ} رحمة{ رَبِّي قَرِيبٌ} لمن استغفر وتاب وأناب{ مُّجِيبٌ} لدعوة الداعين، فـ{ قَالُواْ} متجبرين مستكبرين{ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ} فيما مضى{ فِينَا مَرْجُوّاً} للخير

وجيهًا موقرًا{ قَبْلَ هَـذَا} الذي تدعوننا إليه{ أَتَنْهَانَا} الآن{ أَن نَّعْبُدَ مَا} كان{ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} من قبل{ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ} من صدق رسالتك و{ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} من عبادة الله وحده وترك آلهتنا، بل نحن في شك{ مُرِيبٍ} وما نظنّك إلّا كذّاب أشر، كما قال تعالى في سورة القمر:{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ}﴿٢٥﴾ فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً} وهدًى ورشادًا ويقينٍ{ مِّن رَّبِّى وَآتَانِى} وأوحى إليَّ{ مِنْهُ رَحْمَةً} إن استغفرتم وتُبتم{ فَمَن يَنصُرُنِى} ويُجيروني{ مِنَ} جزاء{ اللّهِ} وعقوبته{ إِنْ عَصَيْتُهُ} وتوليت عن أمره{ فَمَا تَزِيدُونَنِى} إن أطعتكم{ غَيْرَ تَخْسِيرٍ} في الدنيا والآخرة.

ثمّ حذّرهم (ع‌س) المساس بالنّاقة فقال:{ وَيَا قَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ} كما طلبتم من صخر الجبل{ لَكُمْ} وهي{ آيَةً} ومعجزة ودليل وبرهان على عظيم قدرة ربكم{ فَذَرُوهَا} ودعوها{ تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللّهِ} فلكم يوم ولها يوم كما قال تعالى في سورة الشعراء:{ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ}﴿١٥٥﴾ { وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ} ويحلّ عليكم{ عَذَابٌ قَرِيبٌ} فكذّبوه{ فَعَقَرُوهَا} عصيانًا وعنادًا واستكبارًا كما قال تعالى في

سورة الأعراف:{ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ}﴿٧٧﴾ { فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ} وقُراكم{ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ} فـ{ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ} جازمٌ صادقٌ{ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ} ولا مَغلُوط، وأمهلهم تعالى ثلاثة أيّام لعلّهم يتوبون ويستغفرون، كقوله تعالى في سورة يونس:{ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ}﴿٩٨﴾ وكقوله تعالى في سورة البروج:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ}﴿١٠﴾ ولو أنهم تابوا وصدقوا لغفر الله تعالى لهم.

ثمّ قال تعالى:{ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا} بدمارهم وهلاكهم{ نَجَّيْنَا صَالِحاً} (ع‌س){ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ} وعذاب وشقاءِ{ يَوْمِئِذٍ} كقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}﴿٨٨﴾ فأصبحوا خاسرين، فـ{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ} الذي لا يعجزه شيء{ الْعَزِيزُ} الذي ليس كمثله شيء، والغالب في كلِّ اسمٍ من أَسمائِه وصِفةٍ من صِفاتِه{ وَأَخَذَ} وحلّ ونزل بـ{ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ} بالحق{ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} خامدين فـ{ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ} ولم يَنعَمُوا

ولم يُمَكَّنُوا{ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ} وعصوا وبغوا{ أَلاَ بُعْداً} وسُحقًا وهلاكًا{ لِّثَمُودَ} في الغابرين.

الملخص: -

ذكّر تعالى بتكذيب قوم صالح (ع‌س) وحذّرهم مساس الناقة بسوء، فعقروها فأخذتهم الصيحة، ونجَّا تعالى صالح (ع‌س) ومن آمن من قومه.

(٦٩- ٨٣) تبشير إبراهيم (ع‌س) بإسحاق ويعقوب، وإهلاك قوم لوط (ع‌س).

وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُـشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً

وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي
ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ
حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ
وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ
الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

بشّر تعالى إبراهيم (ع‌س) فقال:{ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى} بإسحاق ويعقوب جزاء عزمه وابنه إسماعيل (ع‌س) على تصديق الرؤيا في قوله تعالى في سورة الصّافات:{ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ

نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ١٠٧
وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ}١١٢ ف{
قَالُواْ} جئناك{ سَلاَماً} ف{ قَالَ سَلاَمٌ} وراغ لأهله{ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء}هم {
بِعِجْلٍ} مشوي{ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ} لِيَطعَمُوه{ نَكِرَهُمْ}
وسُلوكهم{ وَأَوْجَسَ} وأحسّ{ مِنْهُمْ خِيفَةً} فَطمئَنُوهُ و{ قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا
أُرْسِلْنَا} من الجبّار القهّار بِعذابٍ{ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ} العادون المسرفون{
وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ} تصلي أو في خدمتهم{ فَضَحِكَتْ} سُرُورًا بهلاكهم{
فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} و{ قَالَتْ} عجبًا{ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ
وَأَنَاْ عَجُوزٌ} بعد انقطاع الحيض{ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً} كبيرًا قد هرم{ إِنَّ
هَـذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ} ف{ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ} الذي إذا أراد شيئًا أن
يقول له كن فيكون، و{ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ} متتاليةً{ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ}
والتصديق والإنابة والحُلُم{ إِنَّهُ} تعالى{ حَمِيدٌ} يحب ويُكرم الحامدين{ مَّجِيدٌ}
ذو الرِّفعَةِ والكرم{ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ} والفزعُ{ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى}
بإسحاق ويعقوب{ يُجَادِلُنَا} مُتَشَفِّعًا{ فِي قَوْمِ لُوطٍ} حقًا{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ}
على العصاة يرجو توبتهم{ أَوَّاهٌ} كثير الحزن والندم{ مُّنِيبٌ} رجّاعٌ لربه،

وقالوا:{ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} فـ{ إِنَّهُ قَدْ جَاء} إلينا{ أَمْرُ رَبِّكَ} بهلاكهم{ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ} لا محالة{ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} ولا مَشفُوع.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً} بصورة أولاد حسان{ سِيءَ} واغتم{ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً} ولم يجد حيلةً لصدِّ قومه{ وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} شديد{ وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ} مسرعين{ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ} كثير{ السَّيِّئَاتِ} لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ ...}﴿٢٩﴾ فَفُحشهم كان إبليسيًا، فَفِعلهم لم يقترف من قبلُ لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ}﴿٨٠﴾ فـ{ قَالَ} خشية العار{ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ} يَستُر قُبحَكم، بل هُم في سكرة معصيتهم يعمهون كما قال تعالى في سورة الحجر:{ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}﴿٧٢﴾ فـ{ قَالُواْ} مُصِرين{ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ} حقيقة{ مَا نُرِيدُ} فـ{ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً} تَردَعُكم{ أَوْ آوِى} لاجئا{ إِلَى رُكْنٍ} مَنِيعٍ قوي{ شَدِيدٍ} فـ{ قَالُواْ} أي الملائكة مطمئنين{ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ} الملائكة من{ رَبِّكَ} فـ{ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ} لينالوا

من شيء تكره، وطمس تعالى أعينهم كما قال تعالى في سورة القمر:{ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ}﴿٣٧﴾.

ثمّ أمر تعالى وقال:{ فَأَسْرِ} خارجًا{ بِأَهْلِكَ} ظُلمةً و{ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ} لينظُر هلاكهم{ إِلاَّ امْرَأَتَكَ} الكافرة فـ{ إِنَّهُ مُصِيبُهَا} عذابَ{ مَا أَصَابَهُمْ} و{ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ} وأجلَهُم{ الصُّبْحُ} لخسفهم{ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} وامضُوا حيث يُؤمَرُون{ فَلَمَّا جَاء} وعدُ وأجلُ{ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} ودلوٍ عظيم{ مَّنضُودٍ} مَنظُومٍ في صفوف لا يُفلت منه{ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ} لتسومهم سوء العذاب كقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ}﴿٤٩﴾ ثمّ حذّر تعالى كلّ مُستَحِلّي تلك الفاحشة فقال:{ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ} أبدًا{ بِبَعِيدٍ}.

الملخص: -

بشَّر تعالى إبراهيم (ع‌س) بإسحاق ويعقوب، وأهلك قوم لوط (ع‌س) لإصرارهم على المعصية.

(٨٤-٩٥) الإشارة إلى معصية قوم مدين، ونصح شعيب (عس) لهم، وبيان إعراضهم واستكبارهم والعقوبة التي نزلت بهم.

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى

مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

يقص تعالى معصية أخرى مُستَحِقَّة للعقوبة من ماضي الغيب لقوم مَديَن فيقول:{ وَإِلَى} قوم{ مَدْيَنَ} أرسل تعالى إليهم{ أَخَاهُمْ} للغتهم{ شُعَيْباً} (ع‌س) فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّه} وحده، فـ{ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ} خالقٌ كلّ شيء، ومعطي كل شيء خَلقَهُ وهداه، ولا يكون شيئًا في السماوات ولا في الأرض إلّا بإذنه وأمره ومشيئته، الرقيب على شيء، الفعّال لما يريد، المعزّ لمن يشاء والمذل لمن يشاء بعدله وعلمه، والذي لا يظلم أحدًا{ وَلاَ تَنقُصُواْ} ولا تتطففوا{ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} غشًا، فـ{ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ} ونعمة ورَغَدِ عَيشٍ{ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ} في الدنيا إن عصيتم{ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ} لا خلاص منه{ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ} تَمام{ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} للناس{ بِالْقِسْطِ} والعدل{ وَلاَ تَبْخَسُواْ} ولا تَنقُصُوا{ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ} وحقوقهم{ وَلاَ تَعْثَوْاْ} ولا تُشيعوا ولا تَسِيرُوا{ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} فالقناعة بـ{ بَقِيَّةُ اللّهِ} مما أحلّه لكم من ربحٍ بالبيع دون نقصان{ خَيْرٌ

لَّكُمْ} من غَشِّكم وإنقاص حقوق الناس{ إِن كُنتُم} حقًا{ مُّؤْمِنِينَ} بما شرع تعالى، وسننه وجزاءاته التي يمضيها في المعتدين{ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ} لكم من نزول عقوبته تعالى عليكم.

فـ{ قَالُواْ} معرضين مستكبرين{ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ} ودينك يأمرنا{ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} من أوثان وأصنام{ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء} من غشٍ وتحايل! ثمّ قالوا مستهزئين إذًا{ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ} وهُدًى ورَشاد{ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ} هدياً و{ رِزْقاً حَسَناً} بطاعته وتقواه{ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى} إلحادكم ومعاصيكم و{ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ} بموعظتي ونُصحي{ إِلاَّ الإِصْلاَحَ} للحقوق في الأرض{ مَا اسْتَطَعْتُ} إلى ذلك سبيلًا{ وَمَا تَوْفِيقِي} لذلك{ إِلاَّ بِاللّهِ} فـ{ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} واعتمدت{ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} وأرجع وأتوب{ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ} ولا يَحملنَّكم بغضي و{ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم} أي حتى لا يصيبكم{ مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ} من عقوبات{ وَمَا} زمن عقوبة{ قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ} وقال:{ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ} من شرككم وبخس النّاس حقوقهم{ ثُمَّ تُوبُواْ} وارجعوا{ إِلَيْهِ} ملتزمين بدينه وشرعه فـ{ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ} يغفر الذنب ولا يعاجل بالعقوبة{ وَدُودٌ} يحب

المؤمنين المتقين فـ{ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ} ولا نفهم{ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ} وما أُرسِلتَ به من مواعظ{ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً} إن أردنا ضُرَّك والنَّيل منك{ وَلَوْلاَ رَهْطُكَ} وجماعتك التي آمنت بك{ لَرَجَمْنَاكَ} بالحجارة{ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِـ} غالٍ ولا{ عَزِيزٍ} فـ{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِى} ومن آمن بي{ أَعَزُّ} وأخوف{ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ} الذي له جنود السماوات والأرض، وله الخلق والأمر{ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ} هزوًا و{ ظِهْرِيّاً} نابذين هديه معرضين مستكبرين فـ{ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} عليم قدير.

ثمّ حذّرهم وقال:{ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ} لرفعة شأنكم بما تهواه أنفسكم فـ{ إِنِّى عَامِلٌ} بمرضات ربّي و{ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} في الدنيا لإعراضكم واستكباركم{ وَ} ستعلمون{ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ} عقوبة ربكم فـ{ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ} ومن المنتظرين{ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا} بعقوبتهم{ نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ} ووعدٍ{ مَّنَّا} وكذلك ننجي المؤمنين{ وَأَخَذَتِ} وأحاطت بـ{ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ} والرجفة يوم الظُّلة والعذاب العظيم{ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} خامدين فـ{ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ} ولم ينعموا{ فِيهَا} أي في الحياة الدنيا{ أَلاَ بُعْداً} وتبًا وسحقًا{ لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ} وخَسِئَت{ ثَمُودُ}.

الملخص: -

بيّن تعالى معصية قوم مدين، ونصح شعيب (ع‌س) لهم، فأعرضوا واستكبروا فأُهلِكُوا.

(٩٦-١١١) ضرب المثل لاستكبار فرعون، وتأكيد أنّ آلهة المشركين لن تغني عنهم من شيء، والتحذير من اليوم الآخر، والإشارة إلى جزاء الفريقان.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِأيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الأخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ

فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

ضرِب تعالى مثلًا آخر من ماضي الغيب فيقول:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِأيَاتِنَا} أي بآيات ديننا وشرائعنا في التوراة{ وَسُلْطَانٍ} ومعجزاتٍ ودلائلٍ وبرهينٍ وعلمٍ{ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ} وكبار قومه{ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ} وهدي وأهواء{ فِرْعَوْنَ وَ} قد عَلِمُوا أنّ{ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} فهو{ يَقْدُمُ قَوْمَهُ} إلى جهنّم{ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ} فأدخلهم وزجّهم في{ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ} والسبيل والطريق{ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ} الدنيا{ لَعْنَةً} جزاء كفرهم واستكبارهم، فأغواهم تعالى عن هديه كما قال في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ ثمّ أغرقهم في اليم{ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} يَلِجون{ بِئْسَ الرِّفْدُ} والمَسلك{ الْمَرْفُودُ} والمطروق.

فـ{ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ} وأخبار{ الْقُرَى} والأمم الكافرة والمشركة{ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ} وعلى أمتك{ مِنْهَا} ما زال{ قَائِمٌ} كمدائن صالح (عس) وجسد فرعون وقرى لوط، ومنها{ وَحَصِيدٌ} مُندَثِر{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ} بإهلاكهم في الدنيا وبجهنّم في الآخرة{ وَلَـٰكِن ظَلَمُوا۟ أَنفُسَهُمْ} بكفرهم وشركهم{ فَمَا أَغْنَتْ} ولن تغني{ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ} ويعبدون{ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَىْءٍ} قطعًا{ لَّمَّا جَاءَ} وحلّ بهم{ أَمْرُ} وعذاب{ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ} يوم الآخرة{ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} وتعنيف وخذلان وتوبيخ، لقوله تعالى في سورة الفرقان:{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٩﴾.

{ وَكَذَلِكَ} وبمثل ذلك يكون{ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ} ودمّر وأهلك{ الْقُرَى وَهِىَ ظَالِمَةٌ} عاصية مستكبرة{ إِنَّ أَخْذَهُ} تعالى في الدنيا{ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} فـ{ إِنَّ فِى ذَلِكَ} القصص للأمم المُهلكة{ لَأيَةً} وعبرة وموعظة{ لِّمَنْ خَافَ

عَذَابَ الأخِرَةِ} فـ{ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ} من آدم (ع‌س) إلى قيام الساعة{ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} تشهده الملائكة والإنس والجن{ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ} ووقتٍ{ مَّعْدُودٍ} ومحسوبٍ، فـ{ يَوْمَ يَأْتِ} ذلك اليوم{ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ} عند ربها{ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ} بكفره وشركه{ وَسَعِيدٌ} بإيمانه وطاعته وتقواه{ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَـ} منزِلُهُم ومَأواهُم{ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ} من شدّة ما يجدون من حرّها{ وَشَهِيقٌ} يشوي جوف أجسادهم{ خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا لقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا}﴿١٦٩﴾ كـ{ مَا دَامَتِ} وبقيت{ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ} منهم، فيزحزحون عنها، فـ{ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} بعدله وحُكمِه، ولا يظلم ربك أحدًا{ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ} جزاء إيمانهم وتصديقهم وبذلهم من أموالهم وأنفسهم{ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا كـ{ مَا دَامَتِ} واستدامت{ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ} من خلقهما إلى قيام الساعة{ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ} للذين زحزحوا من النار وأدخلوا الجنة{ عَطَاء} قسطًا عدلًا لا ظلم فيه{ غَيْرَ مَجْذُوذٍ} ولا منقوص{ فَلاَ تَكُ} ولا تكونوا{ فِي مِرْيَةٍ} ولا شكٍ مما أُوحِيَ إليكم و{ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـؤُلاء} المشركون فـ{ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم}

وأسلافهم{ مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ} وجزاء أعمالهم في الدنيا والآخرة{ غَيْرَ مَنقُوصٍ} ذرّة ولا حبة من خردل.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} أي التوراة{ فَاخْتُلِفَ فِيهِ} واقتتلوا، لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ...}﴿٨٥﴾ { وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ} ووعدٌ مُسمى{ لَقُضِيَ} وفُصل{ بَيْنَهُمْ} في الدنيا قبل الآخرة{ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ} أي من التوراة عريض{ مُرِيبٍ} ثمّ أكّد تعالى فقال:{ وَإِنَّ كُلاًّ} من المشركين ومن قوم موسى (ع س){ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} في الدنيا والآخرة فـ{ إِنَّهُ} تعالى{ بِمَا يَعْمَلُونَ} عليمٌ{ خَبِيرٌ}.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لاستكبار فرعون، وأكّد أنّ آلهة المشركين لن تغني عنهم من شيء، وحذَّر من اليوم الآخر، وأشار إلى جزاء الفريقين.

(١١٢-١٢٣) الأمر بالتمسك بشرائع الدين، وعدم الركون للكافرين أو الاستعانة بهم، والأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة والتوكل عليه لبلوغ الغايات.

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

في ختام سورة هود وبعد أن ضرب تعالى الأمثال لإصرار الكافرين والمشركين على كفرهم وشركهم، أمر تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بأوامر فقال أوّلًا:{ فَاسْتَقِمْ} واستقسموا والتزموا بشرائع الدين وأحكامه{ كَمَا أُمِرْتَ} وأمرتم{ وَمَن تَابَ مَعَكَ} ومعكم من الكافرين والمشركين{ وَلاَ تَطْغَوْاْ} بفعل ما نهيتم عنه، ف{ إِنَّهُ} تعالى{ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لا تخفى عليه خافية، ولا يَستَثنِي أحدًا من سُنَنِه، فأقيموا دينه تعالى في الأرض ولا تتفرَّقوا لقوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ...}﴿١٣﴾ وقد أرسل تعالى رسوله ﷺ للناس جميعًا، وأمرهم تعالى باتِّباعه في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَـيْكُمْ جَمِيعا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّموَاتِ والأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ يحيي ويُـمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيّ الأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلـِمَاتِه واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}﴿١٥٨﴾ لتحتكم البشرية لهذا الدين لقوله في سورة المائدة:{ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ

بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ...}﴿٤٩﴾ لأنّ شرائع هذا الدين رحمة للعالمين لقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ}﴿١٠٧﴾ فبشرائع وقِيم هذا الدين يقام المجتمع الأمثل على الأرض، ومن أهمها تحقيق الأمن الاجتماعي، حيث يكفل الإسلام حياة الفقير بالزكاة والصدقة والأضحية والكفّارات وغيرها.

ثانيًا:{ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى} نُصح وإرشاد ومَشورة{ الَّذِينَ ظَلَمُواْ} وكفروا وأشركوا لبُغضهم إيّاكم، وما في صدورهم أكبر لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ}﴿١١٨﴾ فإن أبيتم{ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} في الآخرة{ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء} يشفعوا لكم{ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} أبدًا.

ثالثًا:{ وَأَقِمِ} وأقيموا{ الصَّلاَةَ} في أوقاتها{ طَرَفَيِ النَّهَارِ} كصلاة الفجر والظهر والعصر{ وَزُلَفاً} وشيئًا{ مِّنَ اللَّيْلِ} كالمغرب والعشاء وقيام الليل فـ{ إِنَّ} فِعل{ الْحَسَنَاتِ} والمواظبة عليها{ يُذْهِبْنَ} ويُكفِرنّ{ السَّيِّئَاتِ} فـ{

ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} المتقين، رابعًا:{ وَاصْبِرْ} واصبروا لبلوغ غايات دينكم{ فَإِنَّ اللَّه لاَ يُضِيعُ} شيئًا من{ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} في الدارين.

ثمّ قال تعالى:{ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ} المُهلكة{ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ} لفعل الخير فـ{ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ} ثمّ استثنى تعالى فقال:{ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ} لمّا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر{ وَ} لكن{ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ} من ملذات{ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ} عاصين معرضين.

ثمّ أكّد تعالى سننه فقال:{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ} أبدًا{ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ} منه تعالى{ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} متقون{ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ} جميعًا من آدم إلى قيام الساعة{ أُمَّةً وَاحِدَةً} وبدين واحد{ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} مؤمنًا وكافرًا{ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ} بالتزامهم وتقواهم{ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} ليميز الصادقين عن الكاذبين لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{... فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ}﴿٣﴾ { وَ} بذلك كلّه{تَمَّتْ} وتحقّقت واكتملت{ كَلِمَةُ} ووعد{ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} لكفرهم وعصيانهم واستكبارهم{ وَكُـلاًّ} من الأمم{ نَّقُصُّ عَلَيْكَ} وعليهم{ مِنْ أَنبَاء} وأخبار{ الرُّسُلِ} من قبلكم{ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} وأفئدة المؤمنين

على هذا الدين{ وَجَاءكَ} وجائهم{ فِي هَـذِهِ} الرسالة والبينة{ الْحَقُّ} من ربكم{ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}.

ثمّ أمر تعالى فقال:{ وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} عصيانًا وعنادًا واستكبارًا{ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ} وما تظنون يحقق مصالحكم ف{ إِنَّا عَامِلُونَ} بمرضات ربنا وهداه{ وَانتَظِرُوا} ما يحل بكم جزء كفركم وعنادكم ف{ إِنَّا مُنتَظِرُونَ} ما يحل بكلا الفريقين{ وَلِلّهِ} تعالى عِلم{ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} ماضيه وحاضره ومستقبله{ وَإِلَيْهِ} تعالى{ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ} وتدبيره{ فَاعْبُدْهُ} واعبُدُوه{ وَتَوَكَّلْ} وتَوكَّلُوا{ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ} أبدًا{ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} فاحذروا عصيانه.

الملخص: –

أمر تعالى بالتمسك بشرائع دينه وعدم الركون للكافرين أو الاستعانة بهم، كما أمر بالاستعانة بالصبر والصلاة والتوكل عليه لبلوغ الغايات.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة يوسف (ع‌س) ترتيبها (١٢) آياتها (١١١)

مقدمة: التَّحَقُّق من قول كثير من المفسرين بنبوة أبناء يعقوب (ع‌س)

للتحقق من قول كثير من المفسرين بنُبُوَّة جميع ابناء يعقوب (ع‌س) لا بدَّ من النظر في بعض الآيات والأحاديث والمعاجم، فكلمة اصطفى كما ورد في معجم مختار الصحاح، من صفا، وصَفا الشراب يَصفو صَفاءً، والصفاء خلاف الكدر، و(الصفو) كما ورد في مقاييس اللغة، أصل واحد يدل على الخلوص من كل شَوْب، وهو ضد الكدر، فمحمد ﷺ

صفوةُ الله تعالى وخِيرَتِه من خَلقه ومُصْطَفاتُه، والأَنْبِياءُ مُصْطَفَوْنَ". أي أنهم مختارون من خالصة البشر قيمًا وأخلاقًا.

ثم نشير إلى بعض مراحل الخلق، فالمرحلة الأولى هي علم الله تعالى بما هو كائن للأبد، من خلق الملائكة والسماوات والأرض، وخلق بقية المخلوقات وخلق آدم (ع‌س) إلى أن يدخل أهل الجنة جنَّتهم ونعيمهم، وأهل النار جهنم وشقاءهم، كلٌ للأبد، وقد بيّن تعالى طرفًا من ذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ}﴿١١﴾.

ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن العرباض بن سارية السلمي (ر‌ع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمُنجَدِلٌ في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبِشارَة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النَّبِيّين صلوات الله عليهم". ومُنجَدِل في طينته، أي قبل نفخ الروح فيه.

ومن عِلمِه تعالى اصطفاء أنبيائه ورُسله (ع‌س) كقوله تعالى في سورة الأعراف:{ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى

ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}٣٤ كما اصطفى تعالى رسوله ﷺ وأصحابه من قبل، لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال:" إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه".

وكذلك اختيار جميع أنبيائه ورسله وأصحابهم، كما اصطفى تعالى هذه الأمة في قوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ}٣٢.

والمرحلة الثانية هي كتابة ما سيكون للأبد في أم الكتاب، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن الوليد بن عبادة بن الصامت (رلع) قال: حدثني أَبِي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن أَوّلَ ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فَجرى بما هو كائن إلى الأبد".

والمرحلة الثالثة هي خلق الخلق المستمر حتى قيام الساعة.

وقد أشار تعالى إلى بعض معايير اصطفاء رُسله في قوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذِ ابۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَاتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ}﴿١٢٤﴾ ولا ينبغي لنبيٍ أن تكون له خائنة أعين"، كما لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذّابًا" كما قال ﷺ.

وقد بيّن تعالى سلوك إخوة يوسف (ع‌س) لأبيه في قوله تعالى في سورة يوسف:{ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّى أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٦٩﴾ إشارة إلى ظُلم إخوة يوسف (ع‌س) لأخيهم بنيامين، فاستنقذ يوسف(ع‌س) أخيه منهم بوضع صاع الملك في وعاء أخيه.

وكان بغض إخوة يوسف (ع‌س) ظاهرٌ معلومٌ ليعقوب (ع‌س) لقوله تعالى في سورة يوسف:{ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}﴿٥﴾ وكادوا لأبيهم وأخوهم.

وقد خصَّ تعالى يوسف لِنُبَوَّته دون اخوته لأبيه لقوله تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}﴿٦﴾ وبيّن الرسول ﷺ أنّ يوسف (ع‌س) هو المصطفى دون إخوته لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عمر (رلع) عن النبي ﷺ أنه قال:" الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام"، ولم يقل أبناء يعقوب (عس).

وقد أجمع إخوة يوسف (عس) ظلمًا على التخلص من يوسف (عس) لقوله تعالى في سورة يوسف:{ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ}﴿١٥﴾.

كما بيّن تعالى تكرار كذب إخوة يوسف لأبيهم في قوله تعالى:{ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ} وليسوا كذلك، وفي قوله تعالى:{ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}﴿١٢﴾ وهم كاذبون، وفي قولهم:{ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا} كذبًا، وفي قوله تعالى:{ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ} وفي قوله تعالى:{ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ}.

وقد وصف تعالى إخوة يوسف بالمكر في قوله تعالى في سورة يوسف:{ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ}﴿١٠٢﴾ كما وصفهم يوسف (عس) بالشر في قوله تعالى:{ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ} أي وأسوء صنعًا وخبثًا ومنزلًا عند الله تعالى كما وردت المعاني في التفاسير{ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ}﴿٧٧﴾ وكل ذلك

يتنافى مع معايير الاصطفاء من الله تعالى، فإخوةُ يوسف ظلموا أباهم وكذبوا عليه، وظلموا يوسف (ع‌س) وأخاهم بنيامين كما ورد في السورة، فالقول بأنّ أبناء يعقوب (ع‌س) كلّهم أنبياء هو طعن وتجريح في اصطفاء الله تعالى لأنبيائه، وذلك يستوجب اللعن لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا}﴿٥٧﴾.

أمّا كلمة" اثنى عشر أسباط" والتي ربما أدت إلى الاعتقاد بأنّهم أبناء يعقوب (ع‌س) في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ ...}﴿١٦٠﴾ فالأسباط كانوا في عهد موسى (ع‌س) وكان تقطيعهم عقوبة لهم لعلهم يتوبون لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ}﴿١٦٨﴾.

فالأسباط ليسوا أبناء يعقوب (ع‌س) وقد أوحى تعالى للأسباط في قوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ

وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴿١٦٣﴾ ختامًا فلو كان كل أبناء يعقوب (عس) أنبياء، لكانت مكانته في القرآن أعلى من مكانة إبراهيم (عس).

الخلاصة: -

لم يكن من أبناء يعقوب (عس) أنبياء إلّا يوسف (عس).

(١-١٤) القسم بأنّ القرآن هو الكتاب المبين، وتأويل رؤيا يوسف (عس) وتحذيره من غدر إخوته، وتَحايُلِهم للتخلص منه.

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُواْ

يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾

أقسم تعالى بثلاثة حروف من اللغة العربية لما للحروف من أهمية لكتابة العلوم، وأَسماها القرآن العزيز وعلومه فيقول تعالى:{ الر } وجواب القسم{ تِلْكَ آيَاتُ} ومعجزات ودلائل وبراهين{ الْكِتَابِ} أي القرآن العزيز{ الْمُبِينِ} للحق من شرائع وأحكام، ثمّ مجّد تعالى ذاته العلية وأكّد قائلا:{ إِنَّا} سبحانه جلّ وعلا{ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً} تشريفًا وتكليفًا لكم معشر العرب دون سائر الأمم{ لَّعَلَّكُمْ} وقال تعالى لعلكم لتفاضل درجات إيمان المؤمنين في قوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ}﴿٣٢﴾ لعلكم{ تَعْقِلُونَ} عظم التشريف والتكليف فتؤمنون وتشكرون وتلتزمون.

ثمّ عظّم تعالى نفسه العلية فقال:{ نَحْنُ نَقُصُّ} ونتلوا{ عَلَيْكَ} وعليكم معشر المسلمين الحقَّ من{ أَحْسَنَ} وأبلغَ وأزكا وأفضلَ وأصدقَ{ الْقَصَصِ} للأمم عبر التاريخ{ بِمَا} أي بالذي{ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} وإليكم{ هَـذَا الْقُرْآنَ} الذي ليس كمثله كتاب{ وَإِن كُنتَ} وكنتم معشر العرب والمؤمنون{ مِن قَبْلِهِ} وقبل وحيه{ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} عن هدي الله تعالى وسننه وأحكامه وتشريعه{ إِذْ} أي يوم{ قَالَ يُوسُفُ} (ع‌س){ لأَبِيهِ} يعقوب (ع‌س){ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ} في المنام{ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً} رمزًا لأخوته{ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} رمزًا لوالديه، ثمّ أكَّد يوسف (ع‌س) رؤياه فقال:{ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} ومن معاني السجود الرِفعةَ للمسجود له، وتبعية الساجد، فَتَذكّر يعقوب (ع‌س) حسد إخوته فـ{ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ} ولا تحكي{ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ} لأبيك{ فَيَكِيدُواْ} غدرًا بدسيسة{ لَكَ كَيْداً} سيئًا شريرًا فـ{ إِنَّ الشَّيْطَانَ} مُنذُ خُلِقَ آدم (ع‌س){ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} مُعلنٌ عداوته، لقوله تعالى في سورة النساء:{ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ...}﴿١٢٠﴾ { وَكَذَلِكَ} وبتلك الرؤيا سـ{ يَجْتَبِيكَ} ويختارك ويصطفيك{ رَبُّكَ} لإحسانك وتقواك{ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ} الرُّؤى و{

الأَحَادِيثِ} المنامية{ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} من بين إخوتك{ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ} (عس) ثمّ أكّد تعالى فقال:{ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ} بكلِّ شيء، ومُستَحِقّي نُّبُوته{ حَكِيمٌ} في كل شأنه، ثمّ أكّد تعالى وقال:{ لَّقَدْ كَانَ فِي} قصص ونبأ{ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ} وعِبرٌ{ لِّلسَّائِلِينَ} والمتدبرين.

ثمّ أشار تعالى لغدر وحسد إخوة يوسف (عس) لأبيهم فقال:{ إِذْ} أي ولمّا{ قَالُواْ} جازمين{ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ} جَمعٌا{ عُصْبَةٌ} وقوَّةٌ، نقوم بكل شأن والدنا، ومن أسباب تلك المحبة، الرؤيا التي تراها أم النبي لأبنها المولود، لما ورد في مسند الإمام أحمد عن العرباض بن سارية السلمي (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنّي عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمُنجَدِلٌ في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبِشارَة عيسى قومه، ورؤيا أمّي التي رأت أنه خرج منها نُورٌ أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النَّبِيّين صلوات الله عليهم"، فرأت أم يوسف بشارات ليوسف (عس) ثمّ برز تقواه في سلوكه فاستبشر والده فأحبه.

وقالوا جازمين مسيئين الظن بوالدهم{ إِنَّ أَبَانَا} بمحبته لهما{ لَفِى ضَلاَلٍ} عن الحق والعدل والإنصاف{ مُّبِينٍ} ظاهرٍ واضحٍ، فـ{ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ} وارموهُ{ أَرْضاً} بعيدًا فـ{ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ} ومحبّة{ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ} وقتله أو نفيه{ قَوْماً صَالِحِينَ} فـ{ قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَ} لكن{ أَلْقُوهُ فِى غَيَابَةِ} وظُلمة{ الْجُبِّ} العميق لـ{ يَلْتَقِطْهُ} ويأخذه{ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} المارين{ إِن كُنتُمْ} عازمين{ فَاعِلِينَ}.

فاحتالوا و{ قَالُواْ} مُجمِعين{ يَا أَبَانَا مَا لَكَ} أبدًا{ لاَ تَأْمَنَّا} ولا تثق بنا{ عَلَى يُوسُفَ} ثم أكّدوا كذبًا وقالوا:{ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} مُحِبُّون، فـ{ أَرْسِلْهُ} من قُربك وأطلقه{ مَعَنَا غَداً} لـ{ يَرتَعْ} وينعم{ وَيَلْعَبْ} ويمرح، وأكّدوا كذبًا وقالوا:{ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} صائنون من كُل سوء، فـ{ قَالَ} جازمًا{ إِنِّى لَيَحْزُنُنِى} ويُبئِسُني{ أَن تَذْهَبُواْ بِهِ} فيفارقني، كما{ وَأَخَافُ} وأخشى{ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ} لاهون{ غَافِلُونَ} فطمئنوه و{ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ} حقًا{ وَنَحْنُ} جماعةٌ و{ عُصْبَةٌ} وقُوَّة{ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ} ذليلون.

الملخص: -

أقسم تعالى بأنّ القرآن كتاب الحق المبين، وبيَّن يعقوب (عس) تأويل رؤيا يوسف (عس) وحذَّرَهُ من غدر إخوته، فتحايلوا على أبيهم للتخلص منه.

(١٥-٢٤) إجماع إخوة يوسف (عس) التخلص منه، وبيعه على عزيز مصر، ومراودة أمرأته ليوسف (عس) وإعراضه عنها.

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَـذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي

هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

بعد أن احتال اخوة يوسف على أبيهم، بيّن تعالى غَدرهم وكيدهم فقال:{ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ} من الشَّام إلى طريق القوافل{ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ} وظُلمة{ الْجُبِّ} العميق، ليتعذّر خروجه منه{ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} لِيهدأَ رَوعُهُ وجَزَعَهُ{ لَتُنَبِّئَنَّهُم} ولتُخبِرنَّهم{ بِأَمْرِهِمْ} وغدرهم{ هَـذَا وَهُمْ} غافلون{ لاَ يَشْعُرُونَ} تصديقًا لوعده تعالى في سورة الأعراف حيث قال:{... وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ}﴿١٩٦﴾ فلمّا رجعوا{ وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء} لستر غدرهم{ يَبْكُونَ} تَصَنُّعًا و{ قَالُواْ} كذبًا وزورًا{ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا} يحرُسها{ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ} ولا مُصدقٍ{ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا} حقًا{ صَادِقِينَ وَجَآءُو} بحيلةٍ وبهتانٍ{ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} ليقطعوا رجاء عَودَتِه، ف{ قَالَ} أبوهم واثقًا بوعد ربه{ بَلْ} الحَقُّ أن{ سَوَّلَتْ} وزيَّنت{ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً} مريبًا غير الذي قلتم{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} يُفرّجُه تعالى{ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى} بيان حقيقة{ مَا تَصِفُونَ} وتدَّعون.

ثمّ بيّن تعالى لُطفًا آخر في تدبيره فقال:{ وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ} قافلة، ولم تكن عِصابة فيسترقوه ويُذِلُّه{ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ} يأتيهم بالماء{ فَأَدْلَى} وأرخى{ دَلْوَهُ} في جُب البئر، فتسلقه يوسف(ع س) ف{ قَالَ} وارِدُهم:{ يَا بُشْرَى} ويا رَبحنا وفَوزنا ف{ هَـذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ} يُخفونهُ{ بِضَاعَةً وَاللَّه عَلِيمٌ} بكل شيء و{ بِمَا يَعْمَلُونَ} ويفعلون، وكان الأولى أن يعيدوه لأهله بالشام{ وَشَرَوْهُ} بيعًا{ بِثَمَنٍ بَخْسٍ} زهيدٍ بـ{ دَرَاهِمَ} قليلة{ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ} وفي ثمنه{ مِنَ الزَّاهِدِينَ} غير طامعين.

ثمّ كان لطفًا آخر منه تعالى ليوسف(ع س){ وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ} وضيافته{ عَسَى أَن يَنفَعَنَا} ويُعِينَنا في مَعاشِنا{ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً} تَبَنِّيًا{ وَكَذَلِكَ} بلُطفنا وتدبيرنا{ مَكَّنِّا} وهيئنا{ لِيُوسُفَ فِى الأَرْضِ} لنّعلِيَ شأنه وقَدرَهُ{ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ} وتفسير{ الأَحَادِيثِ} والرُّؤى{ وَاللَّه} لا محالة{ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} ومُرادِه ومَشِيئَتِه{ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} ولا يصدقون{ وَلَمَّا} كَبُر و{ بَلَغَ أَشُدَّهُ} واستوى{ آتَيْنَاهُ حُكْماً} صائبًا وفِطانةً{ وَعِلْماً} غزيرًا{ وَكَذَلِكَ} وبمثل ذلك{ نَجْزِى} كل{ الْمُحْسِنِينَ} في الدنيا والآخرة{ وَرَاوَدَتْهُ} امرأة العزيز عن نفسها شغفًا، وهي{ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ} بإحكام{ الأَبْوَابَ

وَقَالَتْ} له{ هَيْتَ} وتَهَيئتُ{ لَكَ} فـ{ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ} أن أعصيه فـ{ إِنَّهُ رَبِّي} الذي{ أَحْسَنَ مَثْوَايَ} ورعايتي منذ طفولتي، واستدرك سُنَنَ ربّه وقال لها:{ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ} ولا يفوز في الدنيا ولا الآخرة{ الظَّالِمُونَ} العادون العاصون.

ثمّ أكّد تعالى عزمها على الفاحشة وقال:{ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ} حقًا، لأنّها غلقت الأبواب، وقالت: هيت لك، ولقولها فيما بعد:{... وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ}﴿٣٢﴾ { وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} وتقديره لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فلم يقع منه همٌ البتَّة، كما ورد في كتاب إعراب القرآن وبيانه، وذلك واضح من قوله(ع‌س):{ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ}﴿٢٣﴾ و{ كَذَلِكَ} تداركته عنايتنا{ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء} فـ{ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} الذين ليس للشيطان عليهم سبيلًا كما قال تعالى في سورة الإسراء:{ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا}﴿٦٥﴾.

وبُرهانُ رَبِّه أن تولاه تعالى ولم يجعل للشيطان عليه سبيلًا، وبشَّره تعالى بالنبوة منذ صغره، وطمئنه في ظلمة البئر، وهيأ له تعالى أن تأخُذَه سيّارة ولم تكن عصابة، وسخر تعالى عزيز مصر فاشتراه وأمر بإكرامه،

وعفَّ عن مراودة امرأة العزيز، وبرأه تعالى من تهمتها، وصرف عنه كيد النسوة، وآتاه تعالى حكمًا وعلمًا.

الملخص: -

أجمع إخوة يوسف لأبيه على التخلص منه، واشتراه عزيز مصر، وراودته امرأته فأعرض عنها.

(٢٥-٣٥) إحجام يوسف (عس) عن امرأة العزيز، ومحاولتها الإمساك به، واتِّهامِه لدى زوجها، وبطلان دعوتِها، وايداعه السجن لتبرير ساحتها.

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ

مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴿٣٥﴾

قبل الشروع في تفسير الآيات من المهم تأكيد أنّ الله تعالى اصطفى رُسَلَهُ من خالصةَ البشر قيمًا وأخلاقًا، بسابق علمه بما هو كائن للأبد، كما اصطفا محمد ﷺ، ثمّ كتب ما سيكون للأبد في أم الكتاب، ثمّ بدأ الخلق لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ}﴿١١﴾ ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن العرباض بن سارية السلمي (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمُنجَدِلٌ في طينته"، أي قبل نفخ الروح،

فمن طعن في دين أو خُلق أحدًا من الأنبياء أو الرسل فقد طعن في اصطفاء الله لرسله، وذلك من الكفر.

وقد بيّن تعالى ملابسات مراودة امرئة العزيز ليوسف (ع‌س) وعزوفه عنها فقال:{ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ} فتبعته للإمساك به{ وَقَدَّتْ} وشقت{ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ} ألّا أنّه فتح الباب{ وَأَلْفَيَا} ووجدا{ سَيِّدَهَا} واقفًا{ لَدَى الْبَابِ} فبادرت و{ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً} وفحشاً{ إِلاَّ أَن يُسْجَنَ} تطاولًا{ أَوْ} أن يُعذَّب{ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فـ{ قَالَ} (ع‌س) دافعًا التهمة عن نفسه{ هِيَ} التي{ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِى} فاستشار في أمرهما{ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا} وخاصَّته قائلًا:{ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ} وشُقَّ{ مِن قُبُلٍ} لِصدرِه، فهي تدفعه عن نفسها{ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ وَ} أمّا{ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ} وشُقَّ{ مِن دُبُرٍ} ومن وراء ظهره فهي تريد أن تُمسك به{ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ} فنظر إلى قميصه{ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ} وشُقَّ{ مِن دُبُرٍ} ووراءٍ ظهره{ قَالَ إِنَّهُ} شيئًا{ مِن كَيْدِكُنَّ} وحِيَلكُن، ثمّ أكّد قائلًا:{ إِنَّ كَيْدَكُنَّ} ودهائُكُنّ{ عَظِيمٌ} كبير، ثمّ التفت إلى يوسف (ع‌س) وقال:{ يُوسُفُ أَعْرِضْ} عن زعمها وامتَنِع{ عَنْ هَـذَا} الذي هي تريد{ وَاسْتَغْفِرِى} أنتِ{ لِذَنبِكِ} وسوءَ فِعالُكِ{ إِنَّكِ كُنتِ} قطعًا{ مِنَ الْخَاطِئِينَ}.

{ وَ} لما انتشر الخبر{ قَالَ نِسْوَةٌ} مستنكرين{ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا} ومَملُوكِها{ عَن نَّفْسِهِ} حقًا{ قَدْ شَغَفَهَا} وتولَّعت به{ حُبّاً} وهيامًا، و{ إِنَّا لَنَرَاهَا} وفِعلها لـ{ فِى ضَلاَلٍ} وجُرمٍ واضحٍ{ مُّبِينٍ فَلَمَّا} عَلمت و{ سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ} وتُهمَتُهُن{ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ} فدَعَتهُنّ إلى دارها{ وَأَعْتَدَتْ} وهيَّئت{ لَهُنَّ مُتَّكَأً} مُستراحًا ومُسندًا{ وَآتَتْ} مُعطيةً لـ{ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ} وادخُل{ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ} ذُهِلنَ وانبَهَرن من حُسنه وجماله فـ{ أَكْبَرْنَهُ} وعظَّمنَه وأَهَبنه{ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} من حيث لا يشعرن{ وَقُلْنَ} مقسماتٍ{ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً} أبدًا{ إِنْ هَـذَا} حقًا{ إِلاَّ مَلَكٌ} مُنَزَّهٌ{ كَرِيمٌ} جليل، فـ{ قَالَتْ} لهُنّ{ فَذَلِكُنَّ} هو{ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ} ثمّ قالت مُصِرَّةً:{ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ} أنا{ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} ممتنعًا بالله قائلًا:{ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} ثمّ أكَّدت عزمها وقالت:{ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ} كما أريد{ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ} الحقيرين، فدعا (عس) ربَّه و{ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ} ويأمُرنَنِي به{ وَإِلاَّ تَصْرِفْ} وتُبعد{ عَنِّى كَيْدَهُنَّ} ومَكرَهن ودَهائَهن{ أَصْبُ} وأميلُ{ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن} بذلك{ مِّنَ الْجَاهِلِينَ} المُذنِبين{ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ} وقلوبهنّ{ إِنَّهُ}

تعالى{ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} بكل عباده وجميع خلقه وبما في الصدور{ ثُمَّ بَدَا} وتبيّن{ لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَـٰتِ} والأدلة والبراهين أنّ من المصلحة لدفع التهمة عن امرأة العزيز{ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} وأجل معلوم.

الملخص: -

أحجمَ يوسف (ع‌س) عن امرأة العزيز، وحاولت الإمساك به، واتَّهمته لزوجها، وأُبطِلَت دعوتها، وأودع السجن للتبرير ساحتها.

(٣٦-٤٢) إيداع يوسف (ع‌س) السجن، ودعوة السجينان للإيمان، وتأويل رُؤياهُما، وطلبه (ع‌س) من النَّاجِي ذكره عند مَلِكَهُ، فأنساه الشيطان.

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّيۤ أَرَانِيۤ أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيۤ أَرَانِيۤ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيۤ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيۤ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ

خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الأخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِىَ الأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

أخبر تعالى عن حدثٍ من السجن فقال:{ وَدَخَلَ مَعَهُ} أي مع يوسف (ع س){ السِّجْنَ فَتَيَانَ} شابان{ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّى أَرَانِى} في المنام أنِّي{ أَعْصِرُ} وأصنع{ خَمْراً} من عِنب{ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّى أَرَانِى} منامًا{ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ} فـ{ نَبِّئْنَا} وأخبرنا{ بِتَأْوِيلِهِ} وتفسيره{ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} الصالحين الخَيِّرين، فـ{ قَالَ} بل أعلم أكثر من ذلك فـ{ لاَ يَأْتِيكُمَا} أيُّ صِنفٍ من{ طَعَامٌ} لكما{ تُرْزَقَانِهِ} ليلًا أو نهارًا، من السِّجن أو من خارجه{ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا} وأخبرتكما{ بِتَأْوِيلِهِ} وتفصيل أصنافه ومقاديره{ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا} ويصل إليكما فـ{ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى} وَيُوحِيه إليّ، فـ{ إِنِّى} لمّا كنت في قومي قد{ تَرَكْتُ} وهجرت وأعرضت عن{ مِلَّةَ} ودينَ ومعتقدَ كلّ{ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} وحده لا شريك له{ وَهُم

بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَافِرُونَ} لا يؤمنون{ وَاتَّبَعْتُ} وآمنت بـ{ مِلَّةَ} ودِينِ{ ءَابَآءِىٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} فـ{ مَا كَانَ لَنَا} أبدًا، ولا يَجدُرُ بنا معشر الناس{ أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَىْءٍ} البتة، فإنَّ{ ذَلِكَ} الدين والعلم والهُدى{ مِن فَضْلِ اللّهِ} الذي أنزله{ عَلَيْنَا} تكليفًا وتشريفًا{ وَعَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ} أسفًا{ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ} نِعَمَه ولا يؤمنون ولا يُحسنون.

ثمّ وعظهم وقال:{ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ} وآلهةٌ{ مُّتَفَرِّقُونَ} رأيًا وطرقًا{ خَيْرٌ أَمِ اللُّه الْوَاحِدُ} الذي لا شريك له{ الْقَهَّارُ} الذي إذا قال للشيءِ كُن فيكون، وله الخَلقُ والأمر في السماوات والأرض، وأعطى كلّ شيءٍ خَلقَهُ وصُورَته وخواصَّه ثمّ هداه لوظيفته، ولا يكون شيئًا فيهما إلّا بأمره وإذنه، يكافئ المحسن ويعاقب المسيء في الدنيا قبل الآخرة، واعلموا أنَّ{ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ} تعالى{ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم} من قبل{ مَّا أَنزَلَ اللُّه بِهَا مِن سُلْطَانٍ} ولا لها دليل ولا برهان ولا علمٌ ولا قُدَرة، فـ{ إِنِ الْحُكْمُ} والقضاء والقدر في كل شيءٍ في الدنيا والآخرة{ إِلاَّ لِلّهِ} الذي{ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} لا شريك له، فـ{ ذَلِكَ}كم { الدِّينُ} والهُدى{ الْقَيِّمُ} النافع في الدنيا والآخرة{ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} أسفًا{ لاَ يَعْلَمُونَ} ولا يؤمنون.

ثمّ فسَّر (عس) الرُّؤى تلميحًا لا تشخيصًا فقال:{ يَا صَاحِبَيِ} ورَفِيقَي{ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُ} وسيده ومَلِكَهُ{ خَمْراً وَأَمَّا الأخَرُ فَيُصْلَبُ} عقوبتًا{ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ} الجوارح{ مِن رَّأْسِهِ قُضِىَ الأَمْرُ} وأصبح وقعًا وحقيقةً{ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} وتسألان{ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا} لخدمة مَلِكَهُ{ اذْكُرْنِى} بخير وصلاح{ عِندَ رَبِّكَ} وسيِّدُك المَلِك{ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ} وخبره عند{ رَبِّهِ} ومَلِكَهُ{ فَلَبِثَ} وبقي ماكثًا{ فِى السِّجْنِ} منسيًا{ بِضْعَ سِنِينَ} أي من ثلاث إلى تسع سنين.

الملخص: -

أُودِع يوسف (عس) السجن، ودعا السجينان للإيمان، وأوَّل رؤياهما، وطلب (عس) من الناجي ذِكْره عند مَلِكَهُ، فأنساه الشيطان.

(٤٣-٥٣) أمر الملك بتأويل رؤياه، وتفسِير يوسف (عس) لها، وطلبه النظر في أمر النسوة، واعتراف امرأة العزيز بذنبها، ورَجَت مغفرته.

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّى أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَاىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا

الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ
﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ
الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ
اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ
رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ
الْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾
ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّه لاَ يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا
أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

أمر الملك تفسير الرؤيا:{ وَقَالَ الْمَلِكُ} بعد بِضعِ سنين{ إِنِّي أَرَى} في المنام مرَّات{ سَبْعَ بَقَرَاتٍ} ضخامٍ{ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ} من البقرات{ عِجَافٌ} هزيلات{ وَ} أرى{ سَبْعَ سُنبُلاَتٍ} قمحٍ أو شعيرٍ{ خُضْرٍ} يانعاتٍ{ وَ} سبعٍ{ أُخَرَ يَابِسَاتٍ} ذابلات فـ{ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ} وأحلامي{ إِن كُنتُمْ} حقًا{ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} وتعرفون، فـ{ قَالُواْ} ما هي إلّا{ أَضْغَاثُ}

وأخلاط{ أَحْلاَمٍ} ليس لها تعبير ولا تأويل{ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ} ولا عارفين، فتذكر رَفِيقُ السجن{ وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ} وتذكر تأويل يوسف (عس) رؤياه وصاحبه{ بَعْدَ أُمَّةٍ} وفترةٍ من الزمن{ أَنَاْ أُنَبّئُكُم} وأخبركم{ بِتَأْوِيلِهِ} وتَفسِيرِه{ فَأَرْسِلُونِ} إلى السجن وقال:{ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ} للحديث والرُّؤى{ أَفْتِنَا} وأخبرنا برؤيا الملك{ فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ} ضخامٍ{ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ} من البقرِ{ عِجَافٌ} هزيلات{ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ} يانعات ناضجات{ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ} ذابلات ضامرات{ لَّعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ} بتأويل وتفسير رؤيا الملك فـ{ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} صدق تأويلك وإحسانك، فـ{ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ} متواصلة يكون محصولها غزيرًا وفيرًا{ دَأَباً} دون انقطاع{ فَمَا حَصَدتُّمْ} منه{ فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ} غير مدروس، لئلا تُفسِدُه الأرضة، فادخروا وخزِّنوا{ إِلاَّ قَلِيلاً} منه{ مِّمَّا تَأْكُلُونَ} وتَطعَمُون{ ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ} زمان{ سَبْعٌ} من السنوات الـ{ شِدَادٌ} جادبات قاحطات{ يَأْكُلْنَ} ويَستهلكن كلَّ{ مَا} ادخرتم وخزّنتم و{ قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً} يبقى{ مِّمَّا تُحْصِنُونَ} وتدخرون{ ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ} كلِّه{ عَامٌ فِيهِ} خير كثير وفير و{ يُغَاثُ النَّاسُ} من شدتهم وقحطهم ومجاعتهم{ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} فارهين مُتَنعمين مسرورين.

فأمر{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ} لحضرَتي{ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ} بطلب الملك{ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبّكَ} ومَلِكُك{ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ} وما شأن وما قصّة{ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} فـ{ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ} ومكرهن خبير{ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية، فـ{ قَالَ} الملك:{ مَا خَطْبُكُنَّ} وخبركنّ وشأنكُنَّ{ إِذْ رَاوَدتُّنَّ} وأغرَيتُنَّ{ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ} فـ{ قُلْنَ} مُقسماتٍ{ حَاشَ لِلّهِ} قسمًا ويمينًا{ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ} ولا فُحشٍ أبدًا، و{ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ ٱلْـَٔنَ حَصْحَصَ} وبان واتضح{ الْحَقُّ} نعم{ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ} وأغريتُه{ عَن نَّفْسِهِ} فأبى وامتنع مستعصمًا بالله{ وَإِنَّهُ} حقًا{ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} وما أمرت بسجنه وطعنتُ فيه من{ ذَلِكَ} ألا{ لِيَعْلَمَ} العزيز{ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} بفاحشةٍ{ وَ} قد تيقَنتُ{ أَنَّ اللَّه} صدقًا وعدلًا{ لاَ يَهْدِى كَيْدَ} ومَكرَ{ الْخَائِنِينَ} الغادرين{ وَمَا أُبَرّئُ نَفْسِى} من الذَّنب والخطيئة فـ{ إِنَّ النَّفْسَ} عمومًا{ لأَمَّارَةٌ بِـ} فعل{ السُّوءِ} فذلك من غواية وتضليل إبليس{ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّىَ} من عباده المخلصين فليس له عليهم من سلطان، ثمّ أكّدت قائلةً:{ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ} للتائبين المذنبين{ رَّحِيمٌ} بعبادة والمؤمنين لا يعاجلهم بالعقوبة.

الملخص: –

أمر الملك تفسير رؤياه، والتي فسَّرها يوسف (ع‌س)، وطلب النظر في أمر النسوة، واعترفت امرأة العزيز بذنبها، ورَجَت المغفرة.

(٥٤-٦٥) أمر الملك بإحضار يوسف (ع‌س) وجعله أمينًا على خزائن الأرض، وَوُفُد إخوته طلبًا للميرة والزّاد، واشتراطه إحضار أخيهم لأبيهم لمصر.

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ

فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى:{ وَقَالَ الْمَلِكُ} بعد تأويل يوسف (ع‌س) للرؤيا{ ائْتُونِي بِهِ} في مجلسي وحضرتي لـ{ أَسْتَخْلِصْهُ} مستشارًا ووزيرًا خاصًا{ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ} وعرف نسبه وقصَّته{ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا} وفي مُلكنا{ مِكِينٌ} ثقةٌ{ أَمِينٌ} نزيهٌ، فـ{ قَالَ اجْعَلْنِي} وزيرًا{ عَلَى خَزَآئِنِ} ومحاصيل{ الأَرْضِ} فـ{ إِنِّي حَفِيظٌ} عليها{ عَلِيمٌ} بها وادخارها وشُؤنها{ وَكَذَلِكَ} وبتدبيرنا{ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ} ليكون من حاشية وخاصّة الملك{ فِي الأَرْضِ} أي في مصر، وبمثل ذلك يجزي تعالى كل المحسنين في الدنيا، ولـ{ يَتَبَوَّأُ} وليتقلد يوسف (ع‌س) المناصب{ مِنْهَا حَيْثُ} وأينما{ يَشَاءُ} وبذلك التدبير{ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا} وحُكمِنا وسابق علمنا وعدلنا{ مَن نَّشَاء} ومن نريد من الصالحين{ وَ} من سننا أن{ لاَ نُضِيعُ} أبدًا في الدنيا ولا في الآخرة{ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} المخلصين{ وَلأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ} وأعظم من ذلك كلِّه{ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ} وصدَقُوا وأحسنُوا{ وَكَانُواْ} دائمًا{ يَتَّقُونَ} محارمنا ولا يظلمون.

ثمّ أشار تعالى إلى إخوة يوسف (عس) فقال:{ وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ}(عس) طلبًا للزّاد{ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ} ولا يعرفون{ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ} ومِيرَتِهم{ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ} لأصدقكم وأزيدكم كيل بعير{ أَلاَ تَرَوْنَ} وكما عَلِمتُم{ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ} بتمامه وكماله{ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ} والمُضِيفِين، ثمّ حذّرهم وقال:{ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ} لمصر{ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِى} أبدًا{ وَلاَ تَقْرَبُونِ} فـ{ قَالُواْ} عازمين{ سَنُرَاوِدُ} ونلتمس{ عَنْهُ أَبَاهُ} ليأذن له مجتهدين{ وَإِنَّا} لا محالة{ لَفَاعِلُونَ} جازمون{ وَقَالَ} يوسف(عس){ لِفِتْيَانِهِ} وعمّاله{ اجْعَلُواْ وَضَعوا{ بِضَاعَتَهُمْ} التي أتوا بها{ فِي رِحَالِهِمْ} وأمتَعَتِهم{ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ} ورجعوا{ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ} يعودون فـ{ يَرْجِعُونَ} ويَتَمَيَّرون{ فَلَمَّا رَجِعُوا} ووصلوا{ إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ} للميرة والمعاوضة{ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ} قوتًا وفضلًا{ وَإِنَّا} حقًا وصدقًا{ لَهُ لَحَافِظُونَ} صائنون، فـ{ قَالَ} و{ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ} في صُحبَتِكم{ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ} يوسف(عس){ مِن قَبْلُ} والذي فرطتم فيه{ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً} لنا{ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.

ثمّ أشار تعالى إلى دهشتهم وقال:{ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ} وأوعيتهم{ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ} التي ذهبوا بها{ رُدَّتْ} ورجّعت{ إِلَيْهِمْ} فـ{ قَالُواْ} فرحًا{ يَا أَبَانَا} لقد أُكرمنا، فأرسل معنا أخانا، فـ{ مَا نَبْغِى} ولا نعتدي، فـ{ هَـذِهِ} أولًا{ بِضَاعَتُنَا} التي ذهبنا بها{ رُدَّتْ إِلَيْنَا} ثانيًا{ وَنَمِيرُ} ونأتي لِـ{ أَهْلَنَا} زادًا، ثالثًا{ وَنَحْفَظُ أَخَانَا} من كل سوء، رابعًا{ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ} في حِملنا فـ{ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ} لا عناء فيه ولا نصب.

الملخص: -

حَضَر يوسف (عس) لأمر الملك، وجعله على خزائن الأرض، ووَفَد إخوته طلبًا للزّاد، واشترط عليهم إحضار أخيهم لأبيهم لمصر.

(٦٦-٧٦) أخذ يعقوب (عس) الميثاق على أبنائه برعاية بنيامين، ودخولهم على يوسف (عس) من أبواب متفرقة، وجعل صاع الملك في متاع بنيامين.

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا

دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

اشترط يعقوب (عس) على أبنائه و{ قَالَ} حتمًا{ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً} وعهدًا{ مِّنَ اللّهِ} تتعهدون به{ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ} وترجعونه إليَّ{ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ} ويُغلب على أمركم بأمرٍ لا قدرة لكم عليه، ولا مفرَّ منه{ فَلَمَّا آتَوْهُ} وأعطوه{ مَوْثِقَهُمْ} وعهدهم، أشهد يعقوب (عس) الله تعالى و{ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} يحكم بيننا إن نقضتم العهد

والميثاق، فيعقوب (عس) لا يريد التفريط في ابنه بنيامين، وهو على ثِقَةٍ من ربه بأنّه رادَّه وأخوه إليه، ولكن لا يعلم الأجل، فاحتال{ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ} على خازن الأرض{ مِن بَابٍ وَاحِدٍ} مجتمعين{ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ} كلٌ منكم على حدة، ليَخلُوَ يوسف (عس) بأخيه بنيامين، ثمّ قال:{ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ} قدر{ اللّهِ} تعالى{ مِن شَىْءٍ} فـ{ إِنِ الْحُكْمُ} والأمر والقضاء في كلّ شيء{ إِلاَّ لِلّهِ} ولا يكون شيئًا في السماوات والأرض إلّا بإذنه وأمره، و{ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} واستعنت، ثمّ أكّد وقال:{ وَعَلَيْهِ} تمامًا{ فَلْيَتَوَكَّلِ} المؤمنون و{ الْمُتَوَكِّلُونَ}.

ثمّ بيّن تعالى ما دار في مصر وقال:{ وَلَمَّا دَخَلُواْ} فرادى على يوسف (عس) و{ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم} فـ{ مَّا كَانَ} ذلك التحرز لـ{ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ} قدر{ اللّهِ مِن شَىْءٍ} أبدًا، وما كانت تلك الوصية منه (عس){ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا} ليتفرد يوسف (عس) بأخيه بنيامين{ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ} ويقين بردّ يوسف(عس) عليه، ذلك{ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} ولا يؤمنون بأنّ الخلق والأمر له تعالى، ولا يكون شيئًا في السماوات والأرض إلّا بإذنه وأمره{ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ} (عس) كما أمرهم أبوهم{ آوَى} وأجلس{ إِلَيْهِ أَخَاهُ} قريبًا منه و{ قَالَ إِنِّي أَنَاْ

أَخُوكَ} يوسف{ فَلاَ تَبْتَئِسْ} ولا تحزن ولا تقنط{ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} من سوء وأذى، ولن ترجع معهم.

{ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ} وميرتهم{ جَعَلَ} ووضع يوسف (عس){ السِّقَايَةَ} أي صاع الملك{ فِى رَحْلِ} وحِملِ{ أَخِيهِ} بنيامين{ ثُمَّ} وعند عزمهم على المسير{ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ} من غلمان يوسف (عس) وقال جازمًا:{ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ} حقًا وقطعًا{ لَسَارِقُونَ} وكان ذلك بأمر يوسف (عس) فانبهروا و{ قَالُواْ} مستغربين{ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم} راجعين و{ مَّاذَا تَفْقِدُونَ}؟ فـ{ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ} وسقاية{ الْمَلِكِ} و{ وَلِمَن} وجده و{ جَاء بِهِ} فله{ حِمْلُ} زيادة{ بَعِيرٍ} آخر{ وَأَنَاْ بِهِ} وبذلك الوعد{ زَعِيمٌ} ضامن كفيل، فـ{ قَالُواْ} مقسمين{ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا} من سفرنا{ لِنُفْسِدَ فِى الأَرْضِ وَمَا كُنَّا} أبدًا{ سَارِقِينَ} فـ{ قَالُواْ} لهم:{ فَمَا جَزَآؤُهُ} والحكم فيه{ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ} فـ{ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِ} العبودية{ فَهُوَ جَزَاؤُهُ} العدل{ كَذَلِكَ} وبمثل ذلك الجزاء{ نَجْزِى} أمثالهم{ الظَّالِمِينَ} المسيئين.

{ فَبَدَأَ} يوسف (عس){ بِأَوْعِيَتِهِمْ} يُفتشها واحدًا تلوا الآخر{ قَبْلَ} أن ينظر في{ وِعَاء} وَرَحلِ{ أَخِيهِ} بنيامين{ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ} وهم ينظرون و{ كَذَلِكَ كِدْنَا} ومكرنا{ لِيُوسُفَ} (عس) ليخلِّص أخاه من

أذاهم، فـ{ مَا كَانَ} ولن يكون لنبي أبدًا، ولا ليوسف (عس){ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ} وعبودية{ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّه نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء} بعلمنا وعدلنا وحكمتنا{ وَ} من سننه تعالى أن يجعل{ فَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ} أَعلَمُ منه.

الملخص: -

أخذ يعقوب (عس) الميثاق على أبنائه برعاية بنيامين، ودخلوا على يوسف (عس) متفرقين، ووضع (عس) صاع الملك في متاع أخيه واستنقذه منهم.

(٧٧-٨٧) اتهام أخوة يوسف (عس) له بالسرقة، وأخذ بنيامين في عهد الملك، وتكذيب يعقوب (عس) لهم، وأمرهم بتفقد يوسف (عس) وأخيه.

قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللَّه أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّـا إِذاً لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ

اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

كذبًا وبهتانًا اتهم أخوة يوسف له بالسرقة و{قَالُواْ إِن يَسْرِقْ} بنيامين{ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا} يوسف (ع‌س) أي التهمة الجائرة{ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} و{ قَالَ} في نفسه{ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً} أي أسوء صنعًا وخبثًا ومنزلًا عند الله تعالى كما وردت المعاني في بعض التفاسير، فما كان لِهؤُلاءِ أن يكونوا أنبياء، لأنّ الاصطفاء من الله يعني اختيارهم من صفوة وخيرة البشر، لعلمه تعالى ما هو كائن للأبد، كقوله تعالى في سورة

الأعراف:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ}﴿١١﴾ ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن العرباض بن سارية السلمي (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمُنجَدِلٌ في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبِشارَة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النَّبِيّين صلوات الله عليهم".

أما المرحلة الثانية قبل الخلق فهي كتابة ما سيكون للأبد في أم الكتاب، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن الوليد بن عبادة بن الصامت (رلع) قال: حدثني أَبِي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن أَوّلَ ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فَجرى بما هو كائن إلى الأبد". والمرحلة الثالثة هي بدأ الخلق، ومن المعلوم أنّه من المحال أن يختار تعالى ظالمًا لرسالته لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّٰلِمِينَ}﴿١٢٤﴾ وإخوة يوسف قد ظلموا أباهم وكذبوا عليه، وهو من أكبر الكذب وأشد الظلم، كما ظلموا أخاهم يوسف (عس) وبنيامين،

فالقول بأنّ أبناء يعقوب (عس) هم الأسباط هو طعن وتجريح في اصطفاء الله تعالى لأنبيائه، وهو أذًا لله تعالى يستوجب اللعن لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا}﴿٥٧﴾ وهو من افتراء الكذب على الله الذي نهى تعالى عنه لقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ}﴿١٩﴾.

ولذلك قال يوسف (عس):{ وَاللَّه أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ} فـ{ قَالُواْ} شافعين لأخيهم{ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً} عظيم الحزن عند فقدِه{ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ} فـ{ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} فـ{ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ} أن أظلم، ولكن{ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ} وإن فعلت كما أشرتم فـ{ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ} { فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ} وانقطع رجائهم من عفوه عنه{ خَلَصُواْ} وانفرد ببعضهم{ نَجِيّاً} خافِتَةً أصواتهم يتناجون، و{ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ} وتتذكروا{ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً} وعهدًا{ مِّنَ اللّهِ} بالحفاظ على بنيامين{ وَ} اذكروا{ مِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ} وقصرتم{ فِى} ضياع{ يُوسُفَ

فَلَنْ أَبْرَحَ} ولن أترك{ الأَرْضَ} من مصر{ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي} بالرجوع{ أَوْ يَحْكُمَ اللَّه لِي} بسننه التي يمضيها في خلقه{ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} المقسطين العادلين، ف{ ارْجِعُواْ} وحدكم{ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ} بنيامين{ سَرَقَ} فاستُعبِد{ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا} وبان لنا{ وَمَا كُنَّا} أبدًا{ لِلْغَيْبِ} وما سيكون فيه{ حَافِظِينَ} عارفين{ وَاسْأَلِ} عن صدقنا{ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} بمصر{ وَالْعِيْرَ} القافلة{ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} من مصر{ وَإِنَّا} بما أخبرناك{ لَصَادِقُونَ} فكذّبهم و{ قَالَ بَلْ} الحقيقة أن{ سَوَّلَتْ} وزينت{ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً} غير ما تزعمون{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} لا سخط فيه مرضاتًا لربي{ عَسَى} ووُاثوقًا من{ اللَّه أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ} تعالى{ هُوَ الْعَلِيمُ} بكل ما كان{ الْحَكِيمُ} فيما يقضي ويُمضي من سنن وأحكام.

ثمّ أشار تعالى لشدّة حزنه فقال:{ وَتَوَلَّى} معتزلًا{ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى} وشدة حزني{ عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ} وذهب بصره{ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} ولا يُبين، فأقسموا و{ قَالُواْ تَاللَّه تَفْتَأُ} وتَدُوم{ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً} مَخبولًا أو مشرفا على الموت{ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} حقًا، ف{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي} وغَمّي{ إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ} يقينًا{ مِنَ اللّهِ

مَا لاَ تَعْلَمُونَ} و{ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ} واجتهدوا{ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ} وفرج{ اللّهِ} فـ{ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ} وفرجه{ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} الجاحدون.

الملخص: -

اتهم أخوة يوسف له بالسرقة، وأَخذ بنيامين في عهد الملك، وكذَّب يعقوب (عس) أبنائه، وذهب بصره، وأمرهم بعدم اليأس من العثور على أخويهم.

(٨٨-١٠١) تذكِر يوسف (عس) إخوته بكيدهم، وسؤالهم الاستغفار لهم، ودخولهم مع أبيهم يعقوب (عس) مصر، وسجودهم ليوسف (عس).

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّه يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِى قَدْ مَنَّ اللُّه عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّه لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللُّه عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللُّه لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾

اذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ
عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ
رَبِّىَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ
ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً
وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِى
إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى
وَبَيْنَ إِخْوَتِى إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى
مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّى
فِى الدُّنُيَا وَالأخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾

وَصل إخوة يوسف (ع‌س) إلى مصر{ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا} وأصابنا{ وَأَهْلَنَا الضُّرُّ} والحاجة والفاقة وشدّة الجوع{ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ} قليلة يسيرة، وليست بأحسن حال{ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ} بتمامه غير ناقص{ وَتَصَدَّقْ} وجُد بسخاءٍ وزِد{ عَلَيْنَا} فـ{ إِنَّ اللَّه يَجْزِى

الْمُتَصَدِّقِينَ} المحسنين، فوبخهم و{ قَالَ} أتشكون الضر وتطلبون وفاء الكيل والصدقة! و{ هَلْ عَلِمْتُم} الآن{ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ} من سوء وأذى{ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ} غافلون، فـ{ قَالُواْ} جازمين{ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ} فـ{ قَالَ} نعم{ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِى قَدْ مَنَّ} وجاد وتكرم وتفضل{ اللَّه عَلَيْنَا} وحبانا من فضله، ثمّ ذكَّرهم بسننه تعالى قائلًا:{ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ} محارم الله{ وَيِصْبِرْ} على ما يصيبه من أذى{ فَإِنَّ اللَّه لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} في الدنيا والآخرة، أي أنّ ما أصابكم من بأس وضُر هو بسبب ذنوبكم ومعاصيكم وسوء فِعالكم، فـ{ قَالُواْ} مقسمين{ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ} وفضّلك وكرَّمك{ اللَّه عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا} حقًا وصدقًا{ لَخَاطِئِينَ} مذنبين، فصفح عنهم و{ قَالَ لاَ تَثْرَيبَ} ولا لوم ولا عتاب{ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّه لَكُمْ} سوء صنيعكم{ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} ثمّ أمرهم وقال:{ اذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـذَا فَأَلْقُوهُ} واجعلوه{ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ} راجعًا{ بَصِيراً} معافًا لا بأس به{ وَأْتُونِى} مِصرَ{ بِأَهْلِكُمْ} وذراريكم{ أَجْمَعِينَ}.

ثمّ أشار تعالى إلى استبشار يعقوب (عس) بيوسف (عس) وقال:{ وَلَمَّا فَصَلَتِ} وخرجت{ الْعِيرُ} قافلةً من مصر{ قَالَ أَبُوهُمْ} (عس) لأحفاده لولا الملامة لقلت:{ إِنِّى} الآن{ لأَجِدُ} وأشمُّ{ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ} أي خشية{

أَن تُفَنِّدُونِ} وتُسفِّهون بالخَرَف، فأقسم الأحفاد و{ قَالُواْ} حالفين{ تَاللّهِ إِنَّكَ} حقًا{ لَفِي ضَلاَلِكَ} وخرفك وسَبَهَك{ الْقَدِيمِ} البعيد{ فَلَمَّا أَن جَاء} وحضر{ الْبَشِيرُ} من القافلة{ أَلْقَاهُ} أي القميص{ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ} حالًا{ بَصِيراً} ف{ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ} من قبل{ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ} بوحيه{ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} ف{ قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} وإساءاتنا ف{ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} ظالمين ف{ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ} تعالى{ هُوَ الْغَفُورُ} اللطيف{ الرَّحِيمُ} الذي لا يعاجل بالعقوبة.

{ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى} وقرب{ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّه آمِنِينَ} مطمئنين{ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ} وأجلسهما{ عَلَى الْعَرْشِ} وسرير العزيز{ وَخَرُّواْ} جميعًا{ لَهُ سُجَّداً} شكرًا وامتنانًا{ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ} وتفسير{ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ} في صِبايَ{ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي} اليوم{ حَقّاً} وصدقًا{ وَقَدْ أَحْسَنَ} ولطف{ بِي} وأكرمني وجاد عليَّ{ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ} بريئا من كل تهمة أوَّلًا{ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ} ثانيًا{ مِن بَعْدِ أَن} فتن و{ نَّزغَ} وأغرى وأفسد{ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} ثمّ أكّد وقال:{ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ} في تدبيره{ لِّمَا يَشَاءُ} و{ إِنَّهُ} تعالى{ هُوَ الْعَلِيمُ} بكل شيء{ الْحَكِيمُ} فيما يَقضي ويُمضِي من قضاء وأحكام.

ثمّ دعا يوسف (عس) ربه قائلًا:{ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي} ومنحتني{ مِنَ الْمُلْكِ} والسلطان{ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ} وتفسير{ الأَحَادِيثِ} والرُّأى{ فَاطِرَ} وخالق{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي} وناصري ومؤيدي وهُداي{ فِي الدُّنُيَا وَالأخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً} في الدنيا{ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} في الآخرة.

الملخص: -

ذكَّر يوسف (عس) إخوته بكيدهم، وسألوه أن يستغفر لهم، ودخلوا مع أبيهم يعقوب (عس) مصر، وسجدوا ليوسف (عس) امتنانًا.

(١٠٢-١١١) بيان أن القصص القرآني للهدى والعِبَر، والتحذير من سننه تعالى، والأمر بالصبر ودعوة النّاس للدين، وتأكيد نصره تعالى للمؤمنين.

ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي

وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الأخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِى الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

اختتم تعالى سورة يوسف (ع‌س) بتوجيه الحديث لرسوله ﷺ وقال:{ ذَلِكَ} وذلكم القصص{ مِنْ أَنبَاء} وأخبار{ الْغَيْبِ} الماضي{ نُوحِيهِ} ونبيّنه{ إِلَيْكَ} وإليهم لإثبات صدق رسالتك ونبوتك{ وَمَا كُنتَ} وما كنتم حاضرين{ لَدَيْهِمْ} عند يعقوب (ع‌س) تروي حقيقة ما في صدورهم{ إِذْ أَجْمَعُواْ} أي إخوة يوسف (ع‌س) مُبَيّتون{ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} بأبيهم يعقوب(ع‌س) وأخيهم يوسف(ع‌س) ثمّ أكّد تعالى حقيقةً وقال:{ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ} وغالبيتهم{ وَلَوْ حَرَصْتَ} واجتهدت وبذلت ما في وسعك{ بِمُؤْمِنِينَ} ولا مصدقين{ وَمَا تَسْأَلُهُمْ} ولا تسألونهم{ عَلَيْهِ} من قرآن وهدي وعلم{ مِنْ} أدنى{ أَجْرٍ} ولا عِوض ليسعدوا في الدنيا والآخرة إن اتبعوا هدي الله تعالى

لقوله في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ...}﴿١٢٣﴾ { إِنْ هُوَ} أي القرآن العزيز{ إِلاَّ ذِكْرٌ} للنّاس وموعظةٌ{ لِّلْعَالَمِينَ} إنسهم وجنِّهم.

ثم قال تعالى{ وَكَأَيِّن} أي وكم{ مِّن آيَةٍ} وبراهين كُثُر دالة على إعجازه تعالى وإبداعه وإتقانه{ فِي} خلق{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} يرونها و{ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا} يتدارسونها علمًا واكتشافًا{ وَهُمْ عَنْهَا} وعن الإيمان بها{ مُعْرِضُونَ} مستكبرون، ثمّ أكّد تعالى وقال:{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ} كاليهود والنصارى الذين نسبوا الولد لله تعالى، ثمّ حذّر تعالى وقال:{ أَفَأَمِنُواْ} بسبب كفرهم واعراضهم واستكبارهم{ أَن تَأْتِيَهُمْ} نازلةٌ أو{ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ} تُهلِكُهُم وتُدَمِّرُهُم{ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ} في أجلها المسمى{ بَغْتَةً} وفجأةً تَدهمُهم{ وَهُمْ} غافلون{ لاَ يَشْعُرُونَ}.

فـ{ قُلْ} وقولوا للناس{ هَـذِهِ} بينة القرآن فيها القصص والسنن هو{ سَبِيلِي} وطريقي ومنهجي{ أَدْعُو} بها{ إِلَى} الإيمان بـ{ اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} وهدىً ورشادٍ{ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي} من المؤمنين{ وَسُبْحَانَ اللّهِ} المُتَنَزِه عن كل شرك، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفُوًا أحد{ وَمَا أَنَاْ} وما نحن أبدًا وقطعًا{ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

ثمّ أكّد تعالى وقال:{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ} من أنبياء ورُسل{ إِلاَّ رِجَالاً} من أنفسهم وبِلُغتِهم{ نُّوحِى إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى} والمدن والأرياف فأعرضوا واستكبروا{ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى} جنبات{ الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء{ الَّذِينَ} كفروا{ مِن قَبْلِهِمْ} كقوم نوح وقوم هود وثمود وغيرهم، ونجاة المؤمنين، ثمّ أكّد تعالى وقال:{ وَلَدَارُ الأخِرَةِ} وجزائها ونعيمها{ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ} محارم الله وسننه وعقوباته{ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} وتؤمنون.

ثمّ أكّد تعالى نصره لأوليائه ودعاته حاثَّهم على الصبر فقال:{ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ} من صبرهم، ونصر الله تعالى لهم، وإيمان النّاس بهم{ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ} وتخلّف وعده تعالى{ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَاء} ممن آمن{ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا} وعذابنا{ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} المعرضين المستكبرين، ثمّ أكّد تعالى وقال:{ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِى الأَلْبَابِ} والعقول المتدبرة كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ

لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾١٤ فـ{ مَا كَانَ} ولن يكون هذا القرآن أبدًا{ حَدِيثاً} ونبأً مكذوبًا{ يُفْتَرَى} من إنسٍ ولا جن{ وَلَـكِن} هو{ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ} من توراة وإنجيل وزُبُر{ وَتَفْصِيلَ} أحكام وشرائع{ كُلَّ شَىْءٍ وَهُدًى} يخرجهم من الظلمات إلى النور{ وَرَحْمَةً} لما بينهم و{ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ويصدقون ويلتزمون.

الملخص: –

أكَّد تعالى أنّ القصص القرآني للهُدى والعِبَر، وحذَّر تعالى من سننه وجزاءاته، وأمر بالصبر ودعوة النّاس للدين، وأكَّد نصره تعالى للمؤمنين.